Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Bibliotheca Alexandrina
0136906

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسيـــة اليـــهودي في التاريـــخ

نـــصر الديـــن البـــحرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرست

المقدمة:

اليهودي في التاريخ: ص٥

القسم الأول

الباب الأول:

اليهودي في نماذج أدبية.

أ – من شكسبير وديكنز وغوغول إلى كوستلر وفرويد وكافكا. ص ٢٠

ب – شكسبير وعقدتا اليهودي: الدونية والفوقية. ص٢٨

ج- يهودي العالم السفلي عند ديكنز. ص٣٨

د- غوغول يقدم اليهودي الروسي. ص٤٦

ه- فرانز كافكا صهيونياً. ص ٥٥

الباب الثاني:

دوستويفسكي واليهود.

أ – أوراق من مفكرة كاتب: اليهودي والشكوى الدائمة. ص٧٦

ب- دوستويفسكي يتنبأ بمطامع اليهود في فلسطين. ص٨٥

ج- لا فرق بين يهود معدمين ويهود أثرياء. ص٩٥

الباب الثالث:

الماركسية واليهود.

أ – الماركسية والمسألة اليهودية: ماركس. ص١٠٢

ب – الماركسي هل يكون صهيونياً: دويتشر. ص ١١٤

القسم الثاني

الباب الرابع:

من تاريخ اليهود.

أ – فكرة شعب الله المختار. ص١٣٨

ب – اليهود من السبي الأول إلى عصر الإسلام.ص١٤٨

جـ – من أخلاق اليهود.١٥٩

الباب الخامس:

قراءة في بروتوكولات حكماء صهيون.

أ – القبالا نقطة بيكار اليهودية العالمية.ص١٦٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب – القبالا ظاهرها التصوف وباطنها القتل والتدمير.١٧٨

ج – خرافات من التلمود.ص١٨٨

الباب السادس:

جريمة يهود دمشق سنة ١٨٤٠.

أ – دماء في عيد الفطر اليهودي.ص١٩٨

ب – من وقائع التحقيق في الجريمة.ص٢٠٧

ج – وساطات للعفو عن القتلة.ص٢١٥

ملحق:

أ – يهود دمشق. ص ٢٢٤

ب – ينتقمون حتى من الأموات.ص٢٣١

الباب السابع:

اليهود وفلسطين.

أ – من بال ١٨٩٧ إلى فلسطين ١٩٤٧.ص٢٤٠

ب – لماذا قتل اليهود برنادوت.ص٢٦٣

جـ – المفكر الفرنسي روجيه غارودي يفنّد الأكاذيب اليهودية عبر التاريخ.ص٢٧٤

د – إسرائيل لن تعيش خمسين سنة أخرى.ص٣٠٤

- المصادر ص ٣١٥

- نبذة عن المؤلف ص٣١٩

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فذلكـــــة تـــــاريخيـــــة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فذلكة تاريخية

في الحديث عن اليهودي لابد من البحث بادىء ذي بدء عن المادة العلمية – التاريخية في هذا المجال. إلا أننا سنصاب بخيبة أمل كبيرة، ونحن ننقّر وننقب بحثاً عن المادة، فإذا تذكرنا أن اليهود تاريخياً هم من الشعوب البائدة، فإن هذا يزيد الأمر صعوبة. وليس ثمة أمامنا، من مادة مكتوبة عن هؤلاء الناس سوى كتابهم "التوراة".

وهناك إجماع بين الدارسين على أن هذه "التوراة" هي غير تلك التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة المائدة – الآية /٤٣/:

"إنا أنزلنا التوراة، فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء".

وأما الزبور فيرد ذكره في القرآن في سورة الإسراء – الآية /٥٤/:

"وآتينا داود زبوراً".

المفارقة أن اليهود يزعمون أن كتاب داود هو " المزامير" وأن الزبور هو المزامير! والمزامير لا يمكن أن تكون هي " الزبور" لعدة أسباب، فهي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أناشيد يطفح بعضها بأوصاف جنسية فاضحة، تفصح عن هوس جنسي، تجل كلمات الله عنه. ويرى الدكتور عبد المنعم حفني في كتابه " عالم بلا يهود[1] أن بعض هذه المزامير مسروق من أناشيد أخناتون[1].

من جانب آخر، فإذا كان "عزرا" هو الذي دون الأسفار الخمسة الكبرى في التوراة، بعد ألف عام تقريباً من ظهور موسى ، عليه السلام ، فما الذي استند إليه من وثائق تؤكد أن هذا هو كلام النبي الكريم؟!

وهذه الأسفار: التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – التثنية. تنطوي على مبالغات وأخبار كثيرة تجافي المنطق السليم ومبادئ العقل!

وكيف يمكن أن يتضمن كتاب ديني سفراً مثل "نشيد الأنشاد"، وهو الآخر حافل بالأوصاف والرغبات الجنسية الجارفة والجارحة؟

لعل هذا هو الذي حدا بالكاتب الانكليزي المعروف هـ . ج . ويلز إلى أن يقول غاضباً، عن أسفار أخرى من التوراة:

" إن أسفار حزقيال ودانيال واستير وهوشع – ممن يعتبرهم اليهود أنبياء – ليست أسفاراً دينية. وليس هؤلاء أنبياء بالمعنى اللاحق."

مهما يكن من أمر، فإن المؤرخين الذين يضطرون للعودة إلى التوراة بوصفها المرجع التاريخي الوحيد المكتوب لتلك الحقبة من الزمن، يميزون

---

[1] –عالم بلا يهود – ترجمة ودراسة: د. عبد المنعم حفني – مكتبة مدبولي – القاهرة – ١٩٧٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عادة بين ثلاث تسميات لهؤلاء الذين يسمون بصورة عامة: "اليهود"[1].فهناك العبرانيون، والإسرائيليون، واليهود. ويرون أن هذه التسميات ليست مترادفات، فالعبرانيون أو العبريون، هم الذين جاؤوا مع إبراهيم عليه السلام، من بلاد الكلدان إلى أرض كنعان. وقد أطلق عليهم هذا الاسم، لأنهم عبروا نهر الفرات إلى هذه البلاد، أو لأنهم عبروا نهر الأردن، خلال تجوالهم في أرض الكنعانيين.

وتعزو التوراة هذه التسمية: العبرانيين إلى "عابر بن سام بن نوح" الذين هم من سلالته. وقد فنَّد بعض المستشرقين هذه التسمية. أما الإسرائيليون فهم أبناء يعقوب الذي دعي أيضاً "إسرائيل" . وقد أنجب اثني عشر ابناً " الأسباط الاثني عشر"، صار كل واحد فيهم أصلاً، وجداً تنسب سلالته إليه.

وعلى هذا، يخرج من أسرة "الإسرائيليين" كثير من العبرانيين، مثل "لوط" وذريته، و"اسماعيل" ونسله و"عيسو بن اسحق"، أيضاً، فهؤلاء عبرانيون وليسوا إسرائيليين. أما اليهود فإنهم ينسبون إلى "يهوذا"، الابن الرابع ليعقوب. وكانت له الرسالة الدينية بين إخوته فنُسبوا إليه باعتبارهم أبناء هذه الديانة.

---

[1] – اليهود واليهودية– د. عبد الجليل شلبي – دار أحبار اليوم – القاهرة ١٩٩٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصارت الرسالة الدينية بعد ذلك في" بني لاوي" – ليفي– وقد عرف هؤلاء باسم "اللاويين" و"لاوي" هو ابن يعقوب الثالث.

وظهر في هذه السلالة هارون أخو موسى. وهارون عند اليهود هو الزعيم الديني. أما موسى فهو القائد السياسي. ولذا انحصرت الرسالة الدينية في هارون ونسله.

أم االلغة فهي اللغة العبرية، لأنها أقدم من إسرائيل "يعقوب" وبنيه.وهناك الآن لغة عبرية قديمة، ولغة حديثة. وكانت اللغتان في عداد اللغات الميتة. إلا أن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، أعاد للغة العبرية اعتبارها النسبي، في حدود الكيان المذكور. أضف إلى ذلك محاولات الدولة الدائبة من أجل إحيائها وتيسير تداولها وتشجيعه. أما" اليديش" فهي لغة يهود أوروبا – خاصة الشرقية، وهي خليط من اللغة العبرية والألمانية القديمة والسلافية. وفيها أيضاً بعض ألفاظ محلية أخرى. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، قلة من اليهود يتكلمون هذه اللغة ويكتبون بها. ولهم صحيفة تنشر وتوزع زهاء خمسة وثلاثين ألف نسخة . وبين كتّاب هذه اللغة الروائي الأمريكي "إيزاك باشيفيز سنجر" الذي حاز جائزة نوبل سنة ١٩٧٨ وهو بولوني الأصل ، من مواليد عام ١٩٠٤.

على كل حال، إذا صرفنا النظر عن خطأ التقسيم العرقي للأجناس، ونظرنا إلى الدلالة المكانية – الزمانية وحسب، لقلنا إن العبرانيين، ككل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشعوب السامية، سكنوا الجزيرة العربية في الأصل . ذاك أنها مهد كل هذه الشعوب التي سكنت بلاد الشام في الأزمنة الغابرة، وبينها الكنعانيون والفينيقيون والكلدان، والآشوريون والآراميون .. الخ.

وفي الإمكان تمييز أربع هجرات في تاريخ العبرانيين:

١ – هجرة أولى ساميّة من جنوب شرق الجزيرة العربية إلى أرض بابل، حيث أقاموا في (أور) . وكانوا بدواً متنقلين ، وإن يكن تنقلهم في بقعة محدودة من الجزيرة العربية. ويصعب كثيراً تحديد الزمن الذي جرت فيه هذه الهجرة.

٢ – الهجرة الثانية التي أعطتهم اسم: العبرانيين. ويرى د . عبد الجليل شلبي أن هذه الهجرة عاصرت حركة الهكسوس، وكان فيها هجوم على منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، من شعوب وأجناس مختلفة، بينهم ساميون كهؤلاء العبرانيين، وغير ساميين كالحوريين والحثيين والميتانيين.

٣ – الهجرة الثالثة كانت إلى مصر. وقد جاء في سفر التكوين أنها كانت بسبب يوسف الصديق عليه السلام ووجوده مسبقاً في مصر . وتحدث سفر الخروج عن أبناء يعقوب الأحد عشر الذين جاؤوا معه إلى مصر. وذكر أن مجموع الذين أتوا من نسل يعقوب – إسرائيل كانوا سبعين نفساً. ثم توالدوا وكثروا. ويقال إنهم أقاموا في مصر زهاء ٢٢٠ سنة . وتذكر التوراة – سفر الخروج – الإصحاح الثاني عشر أنهم لبثوا هناك ٤٣٠ سنة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ – الهجرة الرابعة كانت .. من مصر إلى فلسطين، بقيادة موسى، ومن بعده يوشع . وقد كانت أواخر القرن الثالث عشر ق. م.

في مستهل الهجرة الثانية ظهر في " أور" ابراهيم عليه السلام، رئيساً على جماعة هاجر بها إلى بلاد الشام . وقد تنقل في إقليم سورية على حافة الصحراء. وانتقل إلى مصر وعاد منها بجارية تدعى " هاجر " ولدت له " اسماعيل" . وقد دبت الغيرة في قلب "سارة" زوجة ابراهيم الأولى التي جاء بها من "أور" ، ولم تطق إقامة هاجر معها، فذهب بها إلى مكة لتقيم مع ابنها بجوار البيت .. ثم رجع إلى زوجته الأولى "سارة".

كانت المفاجأة أن سارة على الرغم من تقدمها في السن رزقت من إبراهيم ولدها "اسحق" . ومن ثم.. كان لاسحق ولدان :"عيسو" و"يعقوب" . كان "عيسو" أحمر البشرة فسمي " آدوم" ونشأ "الآدوميون" من نسله.

أما يعقوب فسمي "إسرائيل" – أي : عبد الله – وتزوج من ابنتي خاله "لابان" . وكانت الأولى تدعى "ليئة" والثانية "راحيل". وقد أنجبت هذه ولدين، أكبرهما "يوسف". وكان الأحب إلى قلب والده، فغار منه إخوته وألقوا به في الجب.. حتى أنقذته قافلة مهاجرة إلى مصر.. حيث شب وترعرع.. وسجن.. ثم ساد.. إلى آخر القصة التي قدم القرآن الكريم عرضاً جميلاً لها.

وكما أشرنا في الهجرة الثالثة، فإن إخوة يوسف ونسلهم– ٧٠ إنساناً – جاؤوا إلى مصر، بترتيب من "يوسف" عليه السلام. فتكاثروا، لكنهم لم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يختلطوا بالمصريين ، بل أقاموا في بقعة خاصة ، وظلوا منفصلين ممـــيزين عن المصريين.

وحدثت خصومة وبغضاء بين المصريين وبين بني إسرائيل. وحكـــم مصر فرعون كان يكرههم، فكان يقتل من يولد لهم من الذكور. وفي هـــذه الأثناء ظهر موسى عليه السلام.. وقصة نشأته في بيت فرعون معروفـــة.. وكذلك هجرته إلى "مديان" في سيناء وإقامته مع شعيب عليه السلام، وزواجه من ابنته.

وعاد موسى إلى مصر، ومعه أخوه لأمه هارون.. وكانت وقائع بينـــه وبين المصريين، وفرعون، إلى أن خرج مع قومه من مصر، نحو ســـيناء.. حيث أقاموا أربعين سنة، توفي خلالها هو وأخوه هارون، فانتقلت القيادة إلى يوشع.. أو يشوع بن نون. فخرج بجماعته من سيناء إلـــى أرض فلســـطين. وكان قاسياً سفاحاً ، شن الحروب من أجل الاستيلاء على الأراضي الخصبة. وخلال ذلك استولى على عدد من المدن الكنعانية، أهمها "أريحا".

ويظهرنا سفر يشوع في "التوراة" المنحولـــة علـــى وحشـــية يشـــوع وجماعته، ويضع أيدينا على الأكذوبة الكبرى التي ينسبها اليهود إلى "ربِّـــهم" – وهم في النهاية يزعمون أنه هو الله، تعالى أن يقدِّم مثـــل الوعـــد الـــذي يتشدقون به.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاء في العبارات الأربع الأولى ، في الإصحاح الأول من سفر يشوع، ما يلي:

"وكان بعد موسى عبد الرب، أن الرب كلّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات. فالآن قم اعبر هذا الأردن، أنت وكل هذا الشعب، إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم، لكم أعطيته، كما كلمت موسى: من البرية ولبنان هذا، إلى النهر الكبير، نهر الفرات، جميع أرض الحثيين. وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم."

وتروي العبارات في ختام الإصحاح السادس من السفر نفسه، ما صنعه يشوع بن نون وجماعته بأريحا وأهلها، ما عدا الزانية راحاب – وأهلها – التي ساعدت جواسيسهم في استطلاع المدينة قبل غزوها:

"وصعد الشعب إلى المدينة، كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة. وحرّموا – قتلوا – كل ما في المدينة، من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف". "وأحرقا المدينة بالنار مع كل ما فيها".

أنشؤوا بعد ذلك دولتين: إسرائيل وعاصمتها "السامرة" ويهودا وعاصمتها"القدس". ولم تكن هاتان الدولتان في وئام وخير حال مع بعضهما بعضاً، فقد كانتا متنافستين، بل كانتا عدوتين في عدة حالات ومواقف. حتى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن "يربعام" وهو من سبط "افرايم"* عمل بكل ما استطاع على توسيع الهوة وتعميقها بين هذين القسمين، وعلى قطع إسرائيل "السامرة" عن "اليهودية" نهائياً. من ذلك مثلاً أنه منع الحج إلى القدس، وبنى معبداً جديداً يحج شعبه إليه.

وظلت الدولتان في سجال مع الدول المجاورة، ولاسيما الكلدانيون " البابليون" والآراميون والآشوريون. إلى أن امتنع الملك هوشع عن دفع الجزية إلى "شلما نصر الخامس" فحاصر عاصمته "السامرة"ثلاث سنوات.. ومات قبل أن يفتحها، لكنها سقطت في يد خلفه سرغون الثاني عام٧٢١ ق.م فسبى من الإسرائيليين عدداً يختلف المؤرخون في تقديره بين ثمانية وخمسين ألفاً وبين أربعمئة ألف. وأخذ السبي إلى أقصى جزء من امبراطوريته الواسعة، وأحل مكانهم أناساً جاء بهم من القرى الآشورية والبابلية والعيلامية.

أما مملكة يهوذا أو " اليهودية" فقد عاشت أكثر من مئتين وخمسين سنة، بعد سقوط "السامرة" عندما وقعت في يد نبوخذ نصر البابلي الكلداني عام ٥٨٦ ق.م. وقد هدم هذا الرجل سور القدس، بعد حصار طويل، وهدم

---

* – كان في الأصل من خصوم "سليمان" عليه السلام الذي قسم مملكته اثني عشر قسماً، في عدد الأسباط، اثنان منها في الجنوب: " يهوذا" و "بنيامين" أي: اليهودية . والباقي في الشمال: السامرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدينة والهيكل، وسبي معظم السكان إلى جنوب العراق ، ولـــم يبـــق فـــي المدينة سوى نفر قليل.

وهكذا انتهت دولة اليهودية، مثلما انتهت دولة إسرائيل.

ترى.. ما الذي كان من أمر اليهود المسبيّين الذين نفوا إلى بابل ؟! لقد منحوا هناك تسهيلات في العمل والحل والترحال ، مكنتهم من أن يصبحـــوا في مدة وجيزة، من أغنى أهل بابل. لكن ذلك لم يمنعهم من أن يديروا ظـــهر المجن لهؤلاء الناس الذين أكرموهم في مهجرهم. ففي عهد الملك الكلدانـــي الضعيف "نابونيد" ظهر الملك الفارسي "كورش" الذي أعلن تمرده على بـــابل التي كانت تظن أنها بلغت حداً من القوة، يصعب معه، على أحد أن يتحداها. ومع أن "نابونيد" تحالف مع مصر الفرعونية واسبارطة عـــام ٥٤٧ – ٥٤٦ ق.م ، إلا أن "كورش" تغلب عليه بعد مقارعة داخل الامبراطورية الكلدانيـــة استغرق ستة أعوام، تمكن يهود بابل خلالها من الاتصال به سراً، وتحـــالفوا معه، ولعبوا الدور الذي أتقنوه دائماً: التجسس، المكائد، الحرب النفسية.

وهكذا دخل "كورش" بابل عام ٥٣٩ ق.م وكافأ اليهود بأن ولاهم أمور أهل بابل، ثم ساعدهم في هجرتهم المعاكسة إلى فلسطين. ويذهـــب بعـــض المؤرخين إلى أن المبالغ التي جمعت من يهود بابل لتمويل قافلتهم الأولـــى بلغت ما يعادل أربعين مليون قطعة ذهبية. فانظر مدى ما وصلوا إليه فـــي بابل من ثراء فاحش، على الرغم من قلة عددهم، وقصر الزمن الذي قضـــوه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيها. مع ذلك، فقد خانوا.. بابل في أول فرصة. وتذكر المصادر التاريخية أيضاً أن معظم مهاجري القافلة الأولى إلى فلسطين، كانوا من الفقراء اليهود. فماذا عن الأثرياء الذين بقوا في بابل ؟ أما كان واجب الوفاء – على الأقل – يفرض عليهم ان يكونوا مخلصين لكورش؟ غير أنهم انقلبوا أفظع منقلب، وشرعوا يتآمرون مع البابليين ضد الفرس في عهد الامبراطور الفارسي "أحشويرش"، فشعر وزيره "هامان" – العماليقي– بمكائدهم فأمر بمراقبتهم واعتقال كل من يشتبه به، فسارعوا إلى تدبير مكيدة لهامان حتى قتله "أحشويرش " . وتابعوا مؤامرتهم فزوجوا هذا الامبراطور الفارسي الخرع من حسنائهم الذكية " استير" مما سيرد تفصيله لاحقاً. وفي ظل أحشويرش هذا تواصلت هجرات اليهود المعاكسة إلى فلسطين. وعادوا ليطفوا على سطح الأحداث في العهد الروماني.. ولم يكونوا ليترددوا عندما تطول أظافرهم في العصيان مدنياً أو عسكرياً، ففي زمن الإمبراطور كلاوديوس، اعتدوا على موظفي الدولة وامتنعوا عن دفع الضرائب، وداهموا حامية القدس الرومانية وقتلوا أفرادها جميعاً، وأعلنوا حرباً سافرة على روما. واستمرت ثورة اليهود هذه زهاء أربعة أعوام، إلى أن اعتلى العرش الروماني "فاسباسيان" VASPASIEN حاكم سورية السابق، فكلف ابنه البكر "تيتوس" بقمع الثورة اليهودية، فقام بحملة واسعة حاسمة، في مختلف أنحاء المنطقة. وخلال ذلك حاصر القدس، وعرض على اليهود الاستسلام مقابل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإبقاء على أرواحهم، ولكنهم رفضوا. فشدد تيتوس الحصار حتى فتك الجوع بأكثر سكان المدينة وامتلأت الشوارع بجثث الموتى وتفشت الأوبئة في المدينة. وعاد تيتوس يعرض عليهم الصلح، فرفضوا مرة ثانية، وعاود الكرة مرة ثالثة.. وأخيرة فقوبل بالرفض أيضاً. حينذاك حمل تيتوس على المدينة حملة صادقة حازمة، فدمر سورها وأحرق هيكلها ، وقضى على ما تبقى من المدينة، حتى جعلها قاعاً صفصفاً، وسبى أهلها، وأمر ببيعهم في أسواق النخاسة. كان ذلك عام ٧٠م.

وطوال أكثر من ثمانية عشر قرناً .. لم تقم لليهود قائمة في فلسطين..

مصادر :

اعتمدت في كتابة هذه المقدمة التاريخية على عدد من المصادر بينها:

١- اليهود واليهودية – تأليف: د. عبد الجليل شلبي – دار أخبار اليوم – القاهرة ١٩٩٧.

٢- تاريخ فلسطين عبر العصور – تأليف : يوسف سامي اليوسف – دار الأهالي – دمشق ١٩٨٩.

٣- المفسدون في الأرض – تأليف: س. ناجي – الطبعة الثانية – العربي للإعلان والنشر والطباعة – دمشق ١٩٧٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤- بنو إسرائيل. جغرافية الجذور - تأليف: د. زياد منى - دار الأهالي - دمشق ١٩٩٥.

٥- الكتاب المقدس - المطبعة الأميركانية - بيروت ١٩٥٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القســـــم الأول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

اليهودى .. فى نماذج أدبية

أ – من شكسبير وديكنز وغوغول.. إلى كوستلر وفرويد وكافكا.

ب – شكسبير وعقدتا اليهودي: الدونية والفوقية.

جـ – يهودي العالم السفلي عند ديكنز.

د – غوغول يقدم اليهودي الروسي.

هـ – فرانز كافكا صهيونياً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهودي في نماذج أدبية

- ١ -

من شكسبير وديكنز وغوغول إلى كوستلر وفرويد وكافكا

خلال السنوات الأخيرة الماضية ، قرأت عدداً لا بأس به من الكتب والمراجع الأساسية عن الحركة الصهيونية، والديانة اليهودية، والشخصية اليهودية، الصهيونية أحياناً، بدءاً من التوراة، وأسفارها التسعة والثلاثين، وهي منحولة بإجماع المؤرخين المعاصرين، كما أنها كتاب آخر غير الذي أنزله الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام.

قرأت أيضاً رسالة ابن فضلان، وترجمة كتاب " القبيلة الثالثة عشرة " للكاتب اليهودي الأميركي، مجريّ الأصل " أرثر كوستلر" وفيه يتحدث عن يهود الخزر، موضحاً أنهم هم أجداد اليهود الأوربيين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنت أبحث باستمرار عما يمكنني من أن أضع يدي على العناصر الأساسية في شخصية الإنسان اليهودي، ونفسيته، وماذا يريد من دنياه؟ ولماذا كان اليهودي في عصور كثيرة، موضع الاضطهاد والنبذ والكراهية والاحتقار؟ هل لأنه مغلق على ذاته، ودينه، وقومه باستمرار، متقوقع مع جماعته في الغيتو GHETTO أم أنه نتيجة، لعوامل خاصة كامنة في نفسيته، نُبِذ وحكم عليه بالتقوقع داخل الغيتو؟

ربما كان شكسبير SHAKESPEARE أعظم شاعر – كاتب في تاريخ الإنسانية، انطلاقاً من شمول معالجته النماذج البشرية كافة، بمن في ذلك النموذج اليهودي في مسرحيته المشهورة "تاجر البندقية " THE MERCHANT OF VENICE وهو " شايلوخ".

إن اصطلاح " ضد السامية " ANTI SEMITIC وهو من العبارات الحديثة التي صاغتها الحركة الصهيونية في القرن العشرين، لا نستطيع أن ننعت به الشاعر الإنكليزي العظيم. فإذا لم يكن له رأي خاص في "اليهودي" فإنه عكس، عبر شخصية شايلوخ، المشاعر العامة في مجتمعه وعصره، إزاء شخصية "اليهودي" كانز الأموال، المرابي الجشع، الذي لا يطرف له جفن، ولا تأخذه رحمة أو شفقة حين يتعلق الأمر بمعبوده الأول : المال.

وهذه النظرة نفسها، إلى اليهودي نجدها حيث تعَّرض كتاب العصور الحديثة في أوروبا إلى اليهودي .. في أعمالهم الأدبية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان التجار اليهود يمارسون أعمال البيع والشراء في "الهيكل" فطردهم السيد المسيح، وقال كلمته المشهورة: " ما كان للإنسان أن يعبد ربيـــن : الله والمال".

ولا شك أن العالم النفسي اليهودي تسيغموند فرويد SIGMUND FREUD كان واقعاً تحت تأثير هذه النظرة، على هذا النحو أو ذاك، حين وضع كتابـه الشهير "موسى والتوحيد " MOSES AND MONOTHEISM فقد كان يحـاول أن يتغلغل بعيداً في الأعماق الخفية، عبر التاريخ السحيق، لنفسـية اليـهودي . وقبله وضع كارل ماركس كتاباً عن المسألة اليهودية، راح يتلمس فيه مفاتيح الشخصية اليهودية، وفيه قال كلمته المشهورة: "لا تسل عن سر اليهودي فـي دينه، بل سل عن سر دينه فيه".

وبعد فرويد وماركس كتب "فرانز كافكـا" FRANZ KAFKA الروائـي اليهودي التشيكي ذو الثقافة الألمانية التي كتـب أعمالـه بلغتـها، روايتـه المشهورة " القضية " أو المحاكمة.

من هو "جوزيف . ك" بطل الرواية ، الذي تحاصره الاتهامات من كل جانب، وترتفع الأصابع في وجهه، من كـل اتجـاه، ولا يغـادره الشـعور بالحصار والاعتقال لحظة.. ثم لا يجد حلاً لمشكلته، ولا علاجاً لدائه؟ إنـه اليهودي الفقير، في أوروبا مطلع القرن العشرين، وقد بلغت البورجوازيـة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأوروبية أوج مجدها وثرائها وغطرستها.. واحتلت جيوشها الاستعمارية القاهرة، مشارق الأرض ومغاربها.

ما الذي يستطع جوزيف. ك أن يفعله، وهو مطحون في الغيتو مسحوق بسنابك المعامل الرأسمالية، ومظاهر القوة البرجوازية؟

محدودو النظر جداً، السطحيون، المبهورون بعقد الثقافة الغربية إلى درجة الانخلاع والتشوه، هم أولئك الذين رأوا في نتاج كافكا اليهودي، صيحة رفض واحتجاج في وجه البورجواجية الأوروبية. إنها بالأصح: صيحة يهودية.. صيحة الضعف الماكر الخبيث. صيحة الثعلب المدمى بمخالب فهد شرس.

ما علينا إلا أن ننتظر قليلاً كي يحتال الثعلب على النمر كي يخلص جلده من مخالبه الحادة.. لنراه بعدئذ ما عساه أن يفعل.

يورد لوكاس غرولنبرغ LUCAS GROLLENBERG في كتابه المنقول إلى العربية:" فلسطين أولاً PALESTINE COMES FIRST "مقطعاً من مقابلة أجرتها مجلة "درشبيغل " الألمانية الغربية مع ناحوم غولدمان – وكان الرئيس مدى الحياة للمؤتمر اليهودي العالمي– ونشرت في ٢٧ نيسان ١٩٧٠.

درشبيغل : هل يتعرض وجود الشعب اليهودي للخطر؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غولدمان: نعم، إن هذا الوجود لم يكن في أي وقت مهدداً كما هو الآن لأن اليهود على وجه الدقة، لم يعودوا يتعرضون للاضطهاد كما كانوا في العصور الماضية.

ماذا لو وقفنا قليلاً عند هذه الفكرة " لم يعودوا يتعرضون للاضطهاد" لنتفحصها تحت المجهر في حقبتين من التاريخ، تعود الأولى منهما إلى الألف الأول قبل الميلاد، وترجع الثانية إلى زمننا هذا .. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وما تلا قيام الكيان الصهيوني في فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨. نريد أن نرى كيف يسلك اليهودي إزاء الآخرين وقد اطمأن إلى رفع يد الاضطهاد عنه. نبغي أن نشاهد عن كثب ، شريحة " الضعف" اليهودي على حقيقتها .. وإلى أي درجة ، هو حقيقي وصادق، هذا الضعف.

عام ٥٩٧ ق. م هاجم نبوخذ نصر القدس، بجيش قاده بنفسه، وسبى أكثر من عشرة آلاف يهودي إلى بابل.

وبعد سنوات قليلة آل الأمر إلى مملكة فارس. وفي عهد أحشويرش فعل اليهود المسبيون أنفسهم أموراً جساماً في القصر الملكي الفارسي، يرويها "سفر استير" في كتاب التوراة.

لقد أوقع كهنة اليهود قبل كل شيء بين أحشويرش وبين زوجته الملكة وشتي، مستغلين ما لاحظوه من ضعف في شخصيته فأقنعوه أنها تخونه ، فقتلها. ثم اقترحوا عليه إقامة حفل كبير تشارك فيه أحلى الصبايا في المملكة،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لانتقاء أجملهن وأجدرهن بأن تكون زوجة الملك الفارسي. وكان هؤلاء الكهنة قد هيؤوا الغادة اليهودية " استير" واثقين من فوزها بالدرجة الأولى، في مباراة انتقاء زوجة الملك أحشويرش. فما إن اطمأنت إلى مكانتها ونفوذها في القصر حتى بادرت إلى الكشف عن حقيقة "الضعف" اليهودي – هذا ما تعرض إليه فرويد أيضاً عندما أشار إلى استيطان العواطف المتناقضة في أعماق النفس :"الحب والكراهية والحقد والتسامح، والضعف والعنف" في ذلك السيناريو المتحرك الحيوي العجيب –

"اجتمع اليهود في مدنهم، في كل بلاد الملك أحشويرش ليمدوا أيديهم إلى طالبي أذيتهم فلم يقف أحد قدامهم، لأن رعبهم سقط على جميع الشعوب".

"فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك، وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا . وقتل اليهود في شوشن القصر، وأهلكوا خمسمئة رجل – ويعدد السفر هنا أسماء أشخاص قتلهم اليهود – ثم يتابع قائلاً: في ذلك اليوم أتي بعدد من القتلى في شوشن القصر إلى بين يدي الملك، فقال الملك لأستير الملكة: في شوشن القصر، قد قتل اليهود وأهلكوا خمسمئة رجل، وبني هامان العشرة ، فماذا عملوا في باقي بلدان الملك. فما هو سؤالك فيعطى لك، وما هي طلباتك بعد فتقضى؟ فقالت استير: إن حسن عند الملك، فليعط أيضاً لليهود في شوشن أن يعملوا كما في هذا اليوم".

– سفر استير: الإصحاح التاسع –

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويوالي السفر تعداد الناس الذين قتلهم اليهود بإمرة استير.

واما الحقبة الثانية التي أود الإشارة إليها. فهي التي تلت صعود الحزب الاشتراكي الوطني الألماني " النازي" إلى السلطة عام ١٩٣٣ في ألمانيا، وما قام به بعد ذلك من تنكيل واضطهاد لليهود – في جملة من أذاهم وقتلهم في ألمانيا وأوروبا كلها، شرقاً وغرباً – و "أوشفيتز" الذي يشير إليه لوكاس غرولنبرغ، في ما يلي هو أحد المعتقلات التي عذب فيها اليهود على أيدي النازيين وأحرقوا أو قتلوا، إبان الحرب العالمية الثانية.

يقول غرولنبرغ:

" واسم أوشيفتز يثير في ذهن كل إنسان في الغرب المذابح الجماعية المروعة التي ارتكبها النازيون" ويستطرد الكاتب الهولندي قائلاً:

"وقد بدأ اسم دير ياسين يلعب دوراً مماثلاً في الوطن العربي، ولا سيما بين اللاجئين الفلسطينيين. فدير ياسين قبل أن تهدم وتسوى بيوتها بالأرض بواسطة الجرافات، كانت قرية صغيرة على مقربة من الحي اليهودي في القدس".

ويصف المجزرة كما يلي:

"ففي التاسع من نيسان ١٩٤٨ هاجمت قرية دير ياسين قوة من عصابة الأرغون التي يقودها مناحيم بيغن، فذبحت بمعنى الكلمة الحرفي ٢٥٠ من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سكان القرية البالغ عددهم ٤٠٠ شخص، وكان بين القتلى عدد كبير من الشيوخ والنساء والأطفال".

ثم يشير المؤلف إلى كتاب بيغن "الثورة" الذي نشره سنة ١٩٥١ وقوله فيه:

"إن دولة إسرائيل ما كانت لتقوم لولا الانتصار في دير ياسين " ثم يصف بيغن في الكتاب نفسه " كيف بات ممكناً على اليهود أن يخترقوا مدينة حيفا العربية، مثلما تخترق السكين قالب الزبدة . ويبدأ العرب يفرون مذعورين صائحين: دير ياسين".

أليس هذا هو نفسه ما فعله اليهودي بيغن، في الرابع من حزيران ١٩٨٢ في لبنان وفعله "اليهودي "بيريز في قانا ١٩٩٦ وفعله أخيراً بنيامين نتنياهو ؟ ويفعله أيضاً أيهود باراك؟!

المشهد نفسه يتكرر، ولكن العنف – الوجه الآخر للضعف في نفسية "اليهودي" مضاعف مئة مرة .. ألف مرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهودي في نماذج أدبية

- ٢ -

شكسبير وعقدتا اليهودي: الدونية والفوقية

يقدم لنا شكسبير* في مسرحيته المشهورة "تاجر البندقية" مادة خصبة، كثيرة الغنى لاستقراء شخصية اليهودي، في مستهل العصور الحديثة. وإذا كان اليهودي "شايلوخ"هو بين الشخصيات الرئيسية في المسرحية، كما يبدو من جهة، فإن ارتباط الأحداث الأساسية فيها ، وتمحورها على نحو بارز حول حكاية القرض من "شايلوخ" هذا وما تلا ذلك، وواكبه من وقائع.. كل هذا يحملنا على الاعتقاد، إلى حد ما بأن شكسبير، قد كرس هذه المسرحية ، من جهة ثانية كي يظهر لنا شخصية "اليهودي" تحت الأضواء الساطعة، فوق خشبة المشرحة التاريخية حيث

* - وليم شكسبير: ولد في استراتفورد في ٢٢ نيسان ١٥٦٤ وتوفي في ٢٣ نيسان /ابريل ١٦١٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعمل هذا المفكر الإنكليزي الشاعر، مبضعه في أنحائها كاشفاً عن قروحها القديمة، مظهراً، حتى الندوب التي تركتها جروح مغرقة في الماضي، لم يفلح مر السنين في إخفاء آثارها..

لقد جرت أحداث القصر الفارسي، عقب سبي " نبوخذ نصر" لليهود في الألف الأول قبل الميلاد – ٥٩٧ ق.م – هناك استرسلت الغادة اليهودية "استير" بعد أن ارتاحت على عرش الإمبراطور "أحشويرش " في الانتقام لبني قومها من اليهود، بمعونة الحاخام اليهودي " مردخاي" .. فلنتصور أن ذلك حدث حوالي سنة "٦٠٠"ق.م ولنضف إلى ذلك ستة عشر قرناً:" ألفان ومئتا سنة" ثم لنتأمل نفسية اليهودي، بعد مرور كل هذا الركام من القرون والأعوام لنرى إلى مدى الاختلاف أو التشابه فيها بعد هذه السنوات الطويلة التي مضت.

ثمة عناصر واضحة للغاية، محددة جداً، يستنتجها قارئ " العهد القديم " حول نفسية اليهودي ، خاصة الأسفار التالية: يشوع – عزرا – استير – حبقوق – أخبار الأيام " فهو متعصب، عابد للمال والذهب والفضة قاس كل القسوة، تجمَّع في قلبه كل حقد الأرض والتاريخ، متعطش للدم، ولا حدود لشهوته للانتقام والقتل والتدمير"..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهل تغير شيء من هذه العناصر، في العصر الذي كتب فيه شكسبير "تاجر البندقية" ؟ وهل اختلفت صورة " شايلوخ " عن صورة أجداده، كما ورد ذكرهم ورويت أخبارهم في أسفار التوراة التسعة والثلاثين؟

إن أنطونيو هو أحد تجار البندقية المرموقين، وقد وقع صديقه "بسانيو" في هوى وارثة ثرية هي بورشيا التي تكاثر الخاطبون عليها، تأتي بهم إليها الرياح الأربع من كل شاطئ، وإنه ليرجوه أن يقرضه من المال ما يجعله يقف موقف المنافس لأحدهم.

ولكن أنطونيو يعتذر لأن ثروته من المراكب التجارية هي في عرض البحار، إلا أنه ينصح صديقه بأن يتوجه ليستدين أقصى ما يمكن أن يستدينه بضمانته.

ويوافق شايلوخ، المرابي اليهودي ، على إقراض بسانيو بكفالة أنطونيو ثلاثة آلاف دوقية** ثم يقول مخاطباً الكفيل أنطونيو : إذا لم تف في يوم كذا – بعد ثلاثة أشهر – وفي مكان كذا بالمبلغ أو المبالغ الموضحة في الصك – كان الجزاء رطلاً بالضبط من لحمك البطن أقتطعه من الجزء الذي أختاره من بدنك؟

** – يجدر بالذكر أن الكنيسة منعت الإقراض بالربا في أوروبا منذ القرن الثالث عشر تحت طائلة أقصى العقوبات الدينية. وهذا ما جعل الباب مفتوحاً أمام اليهود كي يقوموا بهذه المهمة. أما "الدوقية" فهي عملة عرفت في مدينة "البندقية" كان يضربها "الدوق" أمير البندقية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلماذا اختار شايلوخ النسيئة: – غرامة التأخير – رطلاً من اللحم هو عند آخر تحليل كما يقول هو نفسه أقل نفعاً من رطل الضأن أو البقر أو الماعز؟

يعدد شايلوخ أسباب كراهيته لأنطونيو وحقده عليه كما يلي :

١ – أمقته لأنه مسيحي.

٢ – يشتد مقتي له لأنه، بسذاجته الخرقاء، يقرض المال دون فائدة، ومن ثم يعمل على الهبوط في سعر الفائدة عندنا في البندقية.

٣ – أنه يبغض " أمتنا المقدسة ".

٤ – يعيرني في ذلك المكان* الذي هو أكثر الأمكنة ازدحاماً بالتجار، بما جمعته بصفقاتي وأموالي الحلال التي جمعتها بكدّي، ويصفها هو بأنها ربا.**

ثم يضع شايلوخ النقاط على الحروف، في مسألة " رطل اللحم " حين يقول:

" لو أني تمكنت منه يوماً، إذاً لشفيت منه أحقادي القديمة".

إن شايلوخ يدري جيداً كيف يقتنص الفرصة، ليفرغ أحقاده، وينفس عن كراهيته الدفينة وضغينته الحبيسة، إذ يغدو أنطونيو رهن رغبته، مادام قد جاء مستديناً:

*** الريالتو: مجمع تجار البندقية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- هأنتذا تأتي إلي قائلاً: شايلوخ نريد منك مالاً. إنك أنت تقول هذا، أنت الذي تقول، أنت الذي أفرغت بصاقك على لحيتي وطردتني من عتبة بيتك ركلاً بالقدم.

ويوضح السر الذي جعله يسكت على الإهانة في صبر وتجلد معلناً أن "الصبر هو شعار أمتنا على بكرة أبيها".

ويؤكد شايلوخ أنه متدين، حتى وهو يقرض أمواله بالربا. إنه يضفي حتى على "رباه" مسحة من التدين، مستعيناً بالكتاب المقدس ، مسخراً إياه من أجل تبرير تكالبه على .. المال . يقول شايلوخ مخاطباً أنطونيو:

- إليك ما كان يفعله يعقوب: إنه لما تعاقد مع " لابان"، وهو عمه وكان يعقوب يرعى غنمه، على أن تكون الخراف ذات اللونين حديثة الولادة أجراً له، فإن هذا الراعي اللبيب ، عمد إلى بضعة أغصان فعراها من قشرها ونصبها في طريق النعاج الولود، فلما حملت وحمت عليها - يقصد الأغصان التي عريت - وحل موعد الوضع فجاءت بحملان رقط بلق، وكانت هذه من نصيب يعقوب. تلك كانت إحدى وسائل تنمية الثروة عنده.

ولكن سفن أنطونيو تتحطم جميعاً، فلا يبقى سوى " الوفاء بوثيقة اليهودي " و " لقد حاول عشرون من التجار، كما حاول الدوق نفسه، وأعظم أعيان البندقية، أن يقنعوا شايلوخ بعدم اقتطاع شيء من لحم انطونيو. غير أن أحداً منهم لم يستطع ثنيه عن مطلبه البغيض، وأبى إلا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن يحقق ما نص عليه العقد من جزاء. إنه التعطش إلى الدم، والرغبة في الثأر والانتقام.

إن المرء لا يملك إلا أن يتذكر جميع المجازر التي قام بها اليهود في فلسطين وخارجها، منذ مطلع القرن العشرين حتى الآن، وهو يقرأ وصف أنطونيو لقلب اليهودي.. كأن أنطونيو كان يتحدث عن : دير ياسين ، قبية، كفر قاسم، السموع، الكرامة، بحر البقر، جنوب لبنان منذ السبعينات..وصيدا وصور والنبطية وعين الحلوة وبيروت وقانا، وكل مدن الانتفاضة في فلسطين.

يقول شكسبير مقدماً قلب اليهودي ومشاعره وعواطفه بلسان أنطونيو الذي يصر شايلوخ رغم كل الوساطات والشفاعات على اقتطاع رطل من لحم جسده:

إنه لأسهل عليك أن تتوجه إلى الشاطئ لتأمر ماء المحيط أن يخفض من ارتفاعه، أو في وسعك أن تسأل الذئب: لم أبكى النعجة بافتراس صغيرها؟ بل في مقدورك، أيضاً أن تمنع أشجار الصنوبر الجبلية من تحريك أغصانها العالية فلا تحدث صوتاً إذا هبت عليها عواصف السماء.. إذا كان في وسعك أن تفعل كل شيء مهما صعب، فإن في وسعك أن تلين قلب اليهودي الذي لا نظير له في قسوته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويوضح شاعر الإنكليز العبقري، أن حقد اليهودي، وتعطشه للدم والثأر والانتقام، أكبر بكثير من تعلقه بالمال، ذاك أن بسانيو يعرض عليه أن يسدده ستة آلاف دوقية، مقابل آلافه الثلاثة غير أن شايلوخ يرفض قائلاً:

- لو أن كل دوقية من هذه الآلاف الستة قسمت ستة أقسام، وصار كل قسم منها دوقية، لما رضيت بذلك مغنماً. لست أبغي غير تنفيذ شرط الوثيقة.

ويستطرد قائلاً: إن رطل اللحم الذي أطالب به، قد اشتريته بثمن غال.

وهاهو ذا شايلوخ، مايزال يعبر عن تعطشه لتمزيق اللحم البشري في لبنان وفلسطين.

كان شايلوخ يشحذ سكينه على نعل حذائه فابتدره غراتيانو، أحد أصدقاء أنطونيو بقوله:

- إنك أيها اليهودي المتحجر القلب لا تشحذ السكين على نعلك، وإنما تشحذها على نياط قلبك. غير أنه ما من معدن، حتى ولو كان سيف الجلاد يمكن أن يكون أكثر حدة من حقدك.

ويقول غراتيانو:

- لا شك أن روحك الشريرة هي روح ذئب شنق لفتكه بآدمي، وإن روح ذلك الذئب قد هربت وهو فوق المشنقة وسرعان ما تقمصتك وأنت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في بطن أمك الخبيثة، ذلك أن رغائبك ذئبية عضها الجوع فظمئت إلى النهش والافتراس.

وفي سبيل الوصول إلى حل لهذا الإشكال بين أنطونيو وبين شايلوخ، تعمد "بورشيا" إلى حل تفتق عنه ذهنها المتحرك ، يلفت النظر في الآن ذاته، إلى جانب ليس أقل خطورة في نفسية اليهودي، حيث لا وسط ولا توسط. فإما انغلاقة "الغيتو" والإقامة وراء جدران العزلة .. وإما الانفتاح على عالم من القسوة والهمجية والشراسة.. وشرب الدماء والقتل.. والانتقام والثأر.إما لا شيء وإما كل شيء.. إما "الدونية" INFERIORITY COMPLEX في أكثر معانيها تجسداً.. وإما "الفوقية" SUPERIORITY COMPLEX في أقسى مظاهرها وأفظع أشكالها : إما الحرق والموت والسجن في "أوشفيتز" وإما قتل الفلسطينيين واللبنانيين وصب حمم الموت والدمار والحرق وجميع أنواع القنابل والقذائف فوق المساكن والنساء والشيوخ والأطفال.. وقطع الماء والكهرباء والغذاء.. والمعونات الطبية عنهم.

تقول بورشيا مخاطبة شايلوخ:

– إذن فلتستعد لقطع اللحم، ولا ترق دماً، ولا تقطع أقل أو أكثر، بل اقطع رطلاً من اللحم بالضبط، وإذا أنت قطعت أكثر أو أقل من رطل واحد بالضبط، وإذا وجد فرق يزيد أو ينقص في الوزن حبة، بل .. جزءاً من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عشرين من حبة.. بل .. إذا تحرك الميزان فوق الرطل أو دونه بمقدار شعرة، فسيكون مصيرك الموت وستصادر كل أملاكك.

وكان شايلوخ، قد رفض فدية قدرها ستة أضعاف المبلغ الأصلي، ورفض أيضاً جميع الوساطات والشفاعات.. وها هو ذا: إما رطل من اللحم يشفي غله وحقده به، وإما لا شيء على الإطلاق .. وهذا ما حدث.

ولا يفوت شكسبير أن ينبهنا أخيراً، إلى نقطة غاية في الأهمية والخطورة. ذلك أن العلاقة مترابطة بين اليهودي وبين دينه فحين يتخلى عن دينه الذي هو "تعصب وعبادة للمال وشهوة للثأر والانتقام والدم" تشهد الدنيا إنساناً آخر سوياً بمعنى الكلمة، يستطيع أن يكون حقيقياً كالآخرين.. ويقدر أن يتعاطف معهم ويحبهم.. وكانت الإشارة إلى ذلك في "تاجر البندقية" هي تخلي "جيسيكا" ابنة شايلوخ عن يهوديتها، واندراجها في الديانة المسيحية. إن "لونسلوت" خادم شايلوخ، يكتشف نوازع جيسيكا "اللايهودية" وهو يراها تقع في حب "لورنزو" المسيحي، إلى درجة الهروب معه، فيقول لها:

– ربما جاز لك أن تتمني لو لم يكن أبوك قد جاء بك إلى هذا العالم، وأنك لم تكوني ابنة اليهودي.

وإذ ينتبه إلى ارتباطها من جانب آخر "بيهودية" والدتها يتابع قائلاً:

... إذا طلبت لسفينتك النجاة من الارتطام بصخرة أبيك، لم تكتب لها النجاة من صخرة أمك .. وهكذا فأنت هالكة لا محالة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلا أن جيسيكا ترفض الاثنين معاً، وتعلن عن تخليـــها نـــهائياً عـــن يهوديتها:

سينقذني زوجي، فلقد صرت بفضله مسيحية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليـــــهودي في نماذج أدبيـــــة

- ٣ -

يـــهودي العالـــم السفلـــي عند ديكنز

هنالك بعد زمني يربو على قرنين من الزمـــان، مـــا بيـــن الشـــاعر المسرحي الانكليزي وليم شكسبير، وبين الروائي الانكليزي الآخر تشـــارلز ديكنز CHARLES DICKENS فقد ولد شكسبير عـــام ١٥٦٤ وتوفـــي ســـنة ١٦١٦، في حين أبصر ديكنز النور عام ١٨١٢ وغاب سنة ١٨٧٠ فكيـــف رأى اليهودي ، مؤلف رواية "حكاية مدينتين" و"مغامرات مستر بيكويك" و "دافيد كوبرفيلد".

لقد عاش ديكنز طفولة، حفلت بالمتاعب والآلام ، وكان عمره عشـــر سنوات حين تراكمت الديون على والده، فزج بـــه الدائنـــون فـــي الســـجن، ووجدت أمه نفسها عاجزة عن إعالة أطفالها الأربعة، فحملتهم إلى الســـجن ، كي تعيش على نفقة الدولة مع زوجها السجين. أما تشارلز، فقد وجد لنفســـه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عملاً، وهو في هذه السن الغضة، في مصنع للصق البطاقات على زجاجات الطلاء الذي يستخدم لتلميع الأحذية. وكانت سنوات صعبة فظيعة تلك التي أمضاها، بين الأطفال المشردين.. وكم من ليلة أمضاها نائماً في مطارح أشبه بزرائب الحيوانات ..

وإذا صح القول، فإن هذا هو المهاد الاجتماعي الذي تدور فيه أحداث روايته المشهورة: "أوليفرتويست" OLIVER TWIST.

في هذه الرواية شخصيتان رئيسيتان، هما الطفل أوليفرتويست واليهودي العجوز "فاجين".

يمثل " شايلوخ" في مسرحية "تاجر البندقية" اليهودي الثري، والمرابي، الجشع، الذي يريد أن يضفي على أحقاده وتعطشه، إلى الدم والانتقام، طابعاً دينياً تارة، وشرعياً.. تارة أخرى. كان يريد أن يحصل على رطل من اللحم من جسم أنطونيو بموجب الصك الموقع بينهما، وحسب إجراءات قانونية في المحكمة .. فأي طراز من اليهود يمثله " فاجين" ..؟

إنه يهودي العالم السفلي، والأزقة الخلفية. وربما أمكن القول، إن صورته هي أقرب إلى صورة اليهودي كما استقرت، في التصورات الشعبية، والفولكلور، في أوروبا عامة.

كان شايلوخ يستغل حاجة البورجوازيين والبورجوازيين الصغار، إلى المال وهذه هي الصورة العامة للمرابي اليهودي في المجتمعات اليهودية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيقرضهم مقابل فوائد ورهونات ولقاء صكوك وضمانات، تصل إلى حد اقتطاع جزء من لحوم أجسادهم. -في مسألة رطل لحم، ضرب شكسبير عصفورين بحجر واحد – أما "فاجين" يهودي العالم السفلي، فإنه يستغل شريحة اجتماعية أخرى: الأطفال والمشردين.. يستغل حاجتهم إلى المأوى والغذاء، فيحولهم إلى نشالين ولصوص يسطون، حتى على المنازل مقابل إيوائهم في منزله.. وتقديم بعض الطعام والكساء لهم: يأخذ منهم حصيلة النشل والسطو واللصوصية والجريمة، جميعاً.. ويعطيهم من الجمل أذنه.

لقد كان " أوليفرتويست " طفلاً غير شرعي، وضعته أمه في ملجأ للأيتام بعد أن حملت به سفاحاً. ولدته، ثم أغمضت عينيها وماتت.

وراح أوليفرتويست الطفل ينتقل من ملجأ إلى آخر ، حتى أسلمه الملجأ الأخير إلى دافن موتى لقاء خمس جنيهات.. ونتيجة المعاملة الخشنة القاسية والأذى الكبير الذي لحق بالطفل، لدى هذا الرجل، قرر أن يهرب، وهكذا فعل.

وخلال مسيرته الهاربة، تعرف أوليفر في بلدة قريبة من لندن، بحدث آخر مثله، مشرد، هو "داوكنز" فحمله هذا إلى منزل اليهودي " فاجين" في لندن.. وكل يوم كان فاجين يرسل غلمانه ككلاب الصيد لينشلوا الجيوب ويسرقوا البيوت ثم يعودوا إليه حاملين ما غنموه، وليس لهم مما جاؤوا به إلا أن يأكلوا ويشربوا ويناموا آمنين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسقط أوليفر في الامتحان قبل أن يدخل تجربة النشل الأولى: يلقى القبض عليه ويحاكم، ثم يجيء صاحب المكتبة الذي شاهد حادث النشل أمام عينيه، يقع على أحد زبائنه، وهو رجل شيخ، وقد قام به اثنان من زملاء أوليفر، فيدلي بشهادة تبرئ ساحة الطفل أوليفر . . وتحمل الرجل الشيخ على التكفير عن خطئه في حقِّه.. بأن يحمله إلى بيته مقرراً أن يجعله يعيش معه..

لقد نسي الرجل الشيخ، عندما حاول زملاء أوليفر أن ينشلاه، دفع ثمن الكتاب الذي اشتراه، فبعد أن عاد إلى منزله مع أوليفر، قرر أن يرسله إلى صاحب المكتبة مع بعض الكتب وخمس جنيهات كانت له في ذمته، ولكن اليهودي كان له بالمرصاد. لقد أرسل من يتجسس ليعرف جلية الأمر، خوفاً من أن ينكشف هو وعصابته..

وأفلحت "نانسي" الفتاة المشردة التي يستخدمها اليهودي "فاجين" في معرفة كل شيء، وعلمت أنهم أطلقوا سراح أوليفر.. وأن الرجل الشيخ آواه معه في منزله.. فما كان من فاجين إلا أن نصب كميناً له.. ثم أعاده بالقوة إلى منزله.. وهناك دهش الجميع من سترة أوليفر الجديدة "فهي من جوخ ممتاز".

قال فاجين مخاطباً أوليفر:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- أنا سعيد بأن أراك حسن البزة إلى هذا الحد يا عزيـــزي! ســوف نعطيك بزة أخرى، خشية أن تتسخ بزتك الجديدة هذه. لماذا لم تكتب إلي يـا عزيزي وتخبرني أنك قادم؟! إنك لو فعلت لأعددنا لك عشاء ساخناً..

وأخذ فاجين الخمسة جنيهات.. وأعطى "سايكس" أحد عملائه الكتـــب والجنيهات!! ولم يمض وقت طويل، حين انهال فاجين على أوليفر صائحاً:

- هكذا أردت أن تفر يا عزيزي، أردت أن تلتمس النجدة.. أن تدعـــو رجال الشرطة. إننا سوف نشفيك من ذلك.

.. وتمضي الأيام، فيقحم فاجين، الطفل المنكوب في عملية سطو على منزل، إلا أن العملية تفشل ويصاب أوليفر بطلقة رصـــاص مـــن غـــدارة.. فيعود اللصوص إلى منزل فاجين.. دون أن يكون معهم أوليفر.. وإن يكـــن "سايكس" رأس العملية قد تأخر هو الآخر.

وعندئذ يبلغ الغضب بفاجين أقصى درجاته، ويصيـــح منـــذراً وهـــو يخاطب الفتاة نانسي:

- لو رجع سايكس وخلّف الغلام وراءه، لو نجا بنفسه، ولم يردّ الغلام حياً أو ميتاً، فاقتليه بنفسك إذا كنت تريدين أن تبعدي رأسك عـــن المشـــنقة، وافعلي ذلك حالما يدخل الغرفة.. وإلا فقد فات الأوان.

وتصيح الفتاة: ماذا تعني بهذا كله؟

فيتابع اليهودي، وقد ذهب الغيظ بصوابه:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

– ماذا أعني بهذا كله؟ حين يساوي الغلام عندي مئات من الجنيهات، فهل تنتظرين مني أن أخسره بسبب عصابة من السكيرين، أستطيع القضاء عليهم من غير عناء؟

فما القصة، ومن أين لهذا الطفل أوليفر بمئات الجنيهات؟! أم تراه هو نفسه يساوي هذا المبلغ، في المستقبل، عندما ينضج كلص مدرب ماهر يمكن أن يدر أموالاً وفيرة.. على فاجين؟!

الحقيقة أن فاجين يعرف قصة أوليفر تويست كاملة، ويبدو أنه قد عقد اتفاقاً ما مع شقيقه من والده "مونكس" يحصل بموجبه على قسط من الإرث لقاء إبقائه صفحة أوليفر مطوية.

لم يكن "أوليفر" طفلاً مشرداً حقيقياً، لكن مجيئه إلى العالم على هذا النحو، وموت والده قبيل وفاة أمه بقليل، هو الذي أعطاه هذه الصبغة.. على أن هناك ميراثاً يطمح الأخ "مونكس" في الانفراد به.. ولكن ها هو ذا اليهودي فاجين وقد علم كل شيء يطمع هو الآخر، بالحصول على شيء من الميراث، وهذا هو السر في رغبته بأن يبقى "أوليفر" حيا، لكي يساوم أخاه به، ويراهن عليه..

وهكذا، فإن فاجين يحرص على القتل، قتل "سايكس" أحد عملائه في سبيل المال. ويلجأ من جانب آخر إلى ابتزاز "مونكس" أخي أوليفر غير الشقيق من والده، من أجل الغرض نفسه..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان لشايلوخ منزل باذخ، فيه من يخدمه، ومن مظاهر الثراء والنعمة، ما يمكن أن يدرجه في فئة الأثرياء الحقيقيين.. في حين أن " فاجين" مقيم في بيت أقل من عادي، ويعيش حياة أقرب إلى الفقر والتقشف. ولكن على الرغم من هذا الاختلاف في المظاهر وفي طريقة وأسلوب الحصول على المـــال، فإن ثمة قواسم مشتركة تجمع بين كل منهما.

إننا لم نلاحظ مظاهر تدين واضحة، عند "فاجين". وإذا كان الخـــوف من السلطة واضحاً أشد الوضوح عنده، فإنه من خلال ممارسته العمليـــة، يخفي استهتاراً مدهشاً بالقوانين والشرعية. وهنا يلتقي الاثنان مرة أخرى، أفليس تسخير القوانين والشرعية بصكوك لا إنسانية، مثلما فعل شـــايلوخ يخفي هو الآخر استهتاراً حقيقياً، بالقيمة الموضوعية للقوانين والشرعية؟! أليس هذا هو المضمون الحقيقي لمحاولة شايلوخ، أكل لحم أنطونيو، وهـو حي؟!

وإذا كان شايلوخ نموذج اليهودي، الذي هو "فوق" في أعلـــى الـــهرم الاجتماعي، فإن " فاجين" من جانبه، هو نموذج اليهودي الذي هو " تحـــت " في أدنى الهرم الاجتماعي. الأول يطلب المال، بين الواقفين في قمة الـــهرم. والثاني، يلهث في طلبه بين الواقفين في أسفل السلم..

وكل منهما متعطش إلى الدم والانتقام.. والاثنان يلتقيان، من ناحيـــة أخرى في نظرتهما إلى الأخلاق، أو بتعبير أدق: اللاأخلاق. إن اللااخـــلاق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هي المبتدأ والخبر، عند اليهودي. أما الأخـــلاق كمـــا يفهمـــها الآخـــرون ويعيشونها في أية صيغة من صيغها الاجتماعية العملية ولا نقول: الفلسفية – فإنها لا تهم اليهودي إلا عندما يكون في حاجة إليها، وحينما تستطيع أن تسدي إليه خدمة ما في مسعاه الدائب من أجل الحصول على المال... وهذا هو الوجه الحقيقي لليهودي في مختلف العصور.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهودي في نماذج أدبية

- ٤ -

غوغول يقدم اليهودي الروسي

تناول شخصية اليهودي ونفسيته في روسيا القرن التاسع عشر، اثنان من كبار الكتاب الروس: نيكولاي غوغول NICOLAI GOGOL (*) وفيودور دوستويفسكي FEODOR DOSTOEVSKY (**) فقد نشر دوستويفسكي عام ١٨٧٣ في مجلة "المواطن" سلسلة مقالات عن المسألة اليهودية تحت عنوان "مفكرة كاتب"، لم يقدر لها أن تظهر بين أعمال دوستويفسكي الكاملة سوى مرة واحدة سنة ١٨٩٥ .. اختفت بعدها نهائياً بين مؤلفات الكاتب العظيم التي كان يعاد طبعها بالروسية، وغيرها من

(*) – من مواليد سوروتشيز في اوكرانيا عام ١٨٠٩. وكانت فاته عام ١٨٥٢

(**) – موسكو: ١٨٢١ – ١٨٨١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لغات أوروبا. وسوف نعود إلى هذه الدراسة في ما بعد، فهي الآن بين أيدينا، وقد عثر عليها الكاتب إبراهيم الكوني ونشرها مترجمة في المجلة اللبنانية المحتجبة "بيروت المساء" أواخر عام ١٩٧٥.. ثم عادت فترجمتها مجلة " الثقافة العالمية".

عالج غوغول الشخصية اليهودية في عمله الأدبي الشهير " تاراس بولبا" مقدماً إياها من خلال وجود اليهود الجماعي في "الغيتو" وخارجه، وعبر شخصية المرابي الخمّار "يانكل" .

والواقع فإن ملاحظة دوستويفسكي في مقالاته المذكورة آنفاً هي صحيحة تماماً، فهو يكتب معلقاً على خبر قرأه في مجلة "الوقت الجديد" بعث به مراسل المجلة في " كوفنو" ويقول فيه " إن اليهود هناك هجموا على السكان الليتوانيين المحليين حتى كادوا أن يقتلوهم بالفودكا، لولا القساوسة الكاثوليك الذين أنقذوا السكارى مهددين إياهم بنار جهنم، قائمين على تنظيم تجمعات خاصة لمنع تناول المسكرات. بلى، إن اليهود يهاجمون الآخرين.. بالكحول أيضاً".

... لقد كان " يانكل" في الأصل واحداً من يهود " زابورجي(***)" وكانت زمن أحداث الرواية، متداخلة مع روسيا. ونتيجة الأحداث التي وقعت ضد اليهود، في زابورجي، غادر إلى "دربنو" فافتتح حانة هناك،

(***) تقع الآن جنوب غرب بولونيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخذ بالتدريج يتحكم بكل النبلاء والسادة في الجوار. وشيئاً فشيئاً أخذ يمتص كل النقود منهم، حتى صار كل من في المنطقة يشعر بنفوذ هذا اليهودي وتسلطه.

... ولا بأس، إذا نحن بدأنا القصة .. من أولها..

لقد أراد غوغول أن يكتب رواية تصور الماضي البطولي لأوكرانيا – ذلك الجزء الجنوبي من روسيا – في القرن الخامس عشر... ولم يكن ثمة من سبيل لذلك أفضل من تصوير بطولات القوزاق، الذين امتهنوا الحرب والقتال... وكان عليهم أن يواجهوا زمراً مختلفة من الأعداء: الغزاة المغول، والبولونيين ، والأتراك العثمانيين، يحيطون بهم من كل جانب في الخارج، واليهود يستغلونهم من الداخل.

ولقد وصف أحد رؤساء "زابورجي" أسلوب اليهود في الاستغلال حين خاطب أهل زابورجي قائلاً:

– لا يوجد أحد منكم ليس مديناً لهؤلاء الذين يستغلونكم ويجردونكم من كل ما تملكه أيديكم من المال بطريقة .. أو بأخرى. وعندما كانت تخلو جيوبكم من المال كنتم تجدونهم يمتنعون عن إقراضكم إلا مقابل فوائد مرتفعة وشروط قاسية.

ثم يعلن أحد القوزاق:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- يا للعار ! لقد أصبحت كنائسنا تحت سيطرة اليهود الملاعين. ولم يعد بمستطاعنا دخولها للصلاة، إلا إذا دفعنا سلفاً رسم دخول، قد فرضوه. ليس هذا فقط، بل إنهم يدنسون بأيديهم القذرة، القربان المقدس ، ويضعون شارتهم عليه، قبل أن يسمحوا لنا بتناوله . وحتى اليهوديات هناك، أخذن يصنعن لأنفسهن أردية تشابه أردية قساوستنا.

لقد تمكن اليهود إذاً، في " زابورجي" ومختلف أنحاء أوكرانيا... ولم يكتفوا بالسيطرة على مقدرات الروس المالية، فحسب، بل أرادوا أن يتحكموا حتى بحياتهم الروحية والدينية.

ومتى كان المؤمن يدفع مالاً كي يدخل إلى الكنيسة؟

وانفجر الزبوراجيون في ثورة عارمة ضد اليهود، واندفعوا نحو الحي اليهودي في ضواحي المدينة، " وقد صمموا على ألا يتركوا أحداً منهم حياً".

... وعندئذ هب اليهودي "يانكل" صائحاً:

- أرجو رحمتكم وعفوكم أيها السادة، فنحن جميعاً نعلم ما أنتم عليه من طيبة قلب وشجاعة، إنكم تعلمون أننا نعيش هنا ، تحت رحمتكم، فلا يعقل والحالة هذه أن نقابل معروفكم بالإساءة إليكم. نحن إخوة لكم يا أهل زابورجي، ولا يعقل أن نتعاون مع أعدائكم. إن هؤلاء القوم ليسوا من اليهود، والشيطان وحده يعلم من هم، إنهم يستحقون الموت.

ويعلق غوغول على موقف "يانكل" هذا بقوله:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان اليهودي الخبيث يوجه حديثه محاولاً أن ينال عطفهم ولو على حساب آخرين من بني قومه.

وإذ انتبه يانكل إلى "تاراس بولبا" أحد أبطال القوزاق، أسرع نحوه يتعلق بقدميه ويستعطفه:

– أيها السيد العظيم، لقد عرفت أخاك، "دوروش " وأنا الذي أنقذته من الأسر عندما قبض عليه الأتراك..

وتبدأ حكاية أخرى، بين تاراس بولبا، ويانكل. لقد أنقذ القوزاقي الكهل تاراس، اليهودي المرابي الخمار الجشع من موت محقق، فكيف سيرد عليه يانكل هذا فيما بعد، في الصفحات الأخيرة من الرواية؟

لقد هزم البولونيون القوزاق، وأسروا "أوستاب" ابن تاراس بولبا، وساقوه إلى وارسو. فحين علم والده بذلك، قرر ان يلحق به إلى هناك ، بالغاً ما بلغ ثمن هذه المغامرة. وقصد يانكل، بعد أن انتقل إلى مدينة أخرى فتح فيها حانة" وأخذ يتحكم بكل النبلاء والسادة في الجوار يريد أن يستعين به .. من أجل رؤية ابنه.

وما إن رأى يانكل تاراس بولبا، حتى التمعت عيناه فجأة. لم يكن قد نسي مبلغ الألفين من " الدوكات " التي كان قد عرضها البولونيون ثمناً لرأس تاراس بولبا.

وفيما كان يشرح بغيته، قاطعه يانكل:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

– ولكن ألا تعلم يا سيدي...

فبادر بولبا، إلى القول بسرعة:

– إني أعلم كل شيء. لقد عرض البولونيون تقديم ألفين من الدوكات ثمناً لرأسي. يالللأغبياء، إنهم لا يعلمون قيمته. سأعطيك خمسة آلاف وها هي ذي الآن: ألفان سلفاً.

وفيما كان يانكل يقلب قطع النقود في يده ، وقد بدا السرور عليه وجشع قومه الفطري ظهر في عينيه، تابع بولبا حديثه قائلاً:

– كان بوسعي ألا آتي إليك، بل أذهب بمفردي إلى وارسو، ولكني خفت من أن يعرفني أحد البولونيين ، ويقبضوا علي لأنني لا أحسن الاحتيال وتدبير المكائد، أما أنتم أيها اليهود، فقد خلقتم لمثل ذلك، وبوسعكم خداع الشيطان نفسه.

ولا يستطيع اليهودي تدبير المكائد وخداع الشيطان نفسه فحسب، بل أنه يتقن شؤوناً مشابهة كثيرة، فما أسهل ما يتدبر مسائل الرشوة، وما أسهل أن يقتل، وما أيسر أن يسرق.. حتى نفسه.

يقول تاراس بولبا، مستطرداً، وهو يعقد مع اليهودي يانكل وزملائه الآخرين، صفقة مشاهدة ابنه:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- أنا أعلم أيها اليهود، أن في وسعكم أن تفعلوا أي شيء من شؤون الرشوة، فمن المعروف عن اليهودي أنه يستطيع أن يسرق نفسه إذا اشتهى.

ولا ينسى غوغول، أن يوضح عنصراً بارزاً في نفسية اليهودي، أشار إليه في أكثر من موضع من روايته هذه. فحين يجتمع يهودي بآخر ، وعندما يلتقي ثلاثة مثلاً، فلا بد أن يدور الحديث فيما بينهم بلغة خاصة يسميها الكاتب الروسي " لغة غريبة " وأغلب الظن أنها هي لغة " اليديش" التي يتكلم بها على الأخص اليهود في شرق أوروبا، وهي خليط من العبرية والسلافية والألمانية القديمة.

وعلى الرغم من جميع الإغراءات التي بذلها "بولبا" أمام "يانكل " : **اثنا عشر ألفاً من الدوكات، عدد من الكؤوس الذهبية، قسم من ذهبه المدفون، من أجل مساعدة ابنه على الفرار من سجنه في وارسو**، فإن "يانكل" وزميليه اليهوديين الآخرين اللذين انضما إليه، لم يعطياه وعداً نهائياً، بل علقا الأمر كله، باستشارة رجل، لا غنى عنها، قبل القيام بأية خطوة فمن هو هذا الرجل؟

إنه " مردخاي".

فمن هو مردخاي هذا؟ إنه زعيم العصابة التي ينتمي إليها زميلا يانكل في هذه المدينة: وارسو.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقدمه غوغول كما يلي:

كان وجه مردخاي يحمل عدداً من آثار الضربات التي لابد أنه قد نالها في أثناء قيامه ببعض الأعمال الجريئة في نظر اليهود، كالسرقة وقتل الضعيف.

.. ربما كان معروفاً لدى الجميع، جانب النفاق والتملق والمداهنة في نفسية اليهودي، فهو عنصر جوهري ، يلجأ إليه، حين تمس الحاجة ، وعندما يؤانس ضعفاً أو حرجاً في موقفه لا منجاة منه، بغير الرياء والأساليب المداجية. ولكن غوغول يقدم لنا، في الصفحات الأخيرة من روايته التي بدت، وكأنها في إحدى نواحيها الكبرى مخصصة لتعرية نفسية اليهودي والكشف عن خباياها، مشهداً لا أصدق منه في هذا المجال، ففي أحد سجون وارسو، يدور الحوار التالي بين اليهودي يانكل، وبين أحد الجنود الذين برزوا في طريقه، فيما هو يتقدم للبحث عن " أوستاب" ابن بولبا الأسير، والذي سيعدم في الصباح. يقول يانكل مخاطباً الجندي:

- يا صاحب السعادة، أيها الضابط البطل!

- هل تخاطبني أيها اليهودي؟

- نعم أيها السيد الجليل

- ولكني، لست غير جندي عادي، وأنا لست بضابط.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- وحق السماء، إنك تبدو وكأنك حاكم المدينة . يليق بك يا سيدي أن تكون قائد فرقة، وتعتلي صهوة جواد أصيل.

ويختتم غوغول هذا المشهد، على النحو التالي:

" رفع الجندي يده إلى شاربه، وقد أعجبه هذا المديح الذي أخذ اليهودي يكيله له، وومضت عيناه بنظرات الحبور".

ثم يغتنم الكاتب العظيم هذه الفرصة ليضرب بفرشاته الذكية ضربة أخرى محدثاً لمسة هامة على صورة اليهودي ، ذاك أن يانكل يتابع حديثه مع الجندي قائلاً:

ما أطيب العسكريين، وما أرق قلبهم، وأينما ترى العذارى اليهوديات الرجال العسكريين من البولونيين.. أوه، أوه.. إنهن يعشقنهم، وهم يدفعون لهن بسخاء.

.. ويبدو أن اليهود عريقون في هذه المهنة، منذ أيام " استير" .. و "هيروديا" وابنتها "صالومي".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهودي في نماذج أدبية

- ٥ -

فـــرانز كـــافكا ... صهيونياً

أدهشني كثيراً أن أقرأ أن فرانز كافكا[*] FRANZ KAFKA.. يعود إلـــى الواجهة الأدبية بعد سنوات عديدة من الغياب.

وهل غاب كافكا عنا قط؟ هل غاب عن الصحف والمجـــلات والكتـــب المترجمة أو غير المترجمة؟ هل كان كافكا إلا حاضراً.. باستمرار؟

خطر لي أن أجري سبراً عاجلاً في هذه المســـألة، حســـب طريقـــة: "العينات العشوائية" المتبعة في علم الاجتماع.

في العدد "٦٢" تاريخ الأحد ١٩٩٧/٥/٢٥ من ملحق صحيفة "الثـــورة" السورية الأسبوعي، قصة مترجمة عن كافكا بعنوان "حلم".

---

[*] – يهودي تشيكي كتب بالألمانية: ١٨٨٣ – ١٩٢٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي صيف ١٩٩٦، نشرت في مجلة "الآداب" الشهرية اللبنانية – العدد المزدوج ٧–٨ تموز وآب ١٩٩٦ دراسة ضافية عن كافكا.

وبين أحدث الكتب الصادرة ١٩٩٧ عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، كتاب عنوانه " القصة الألمانية الحديثة، في ضوء ترجمتها إلى العربية" تأليف: د. عبده عبود، فيه فصل ضاف من ثمان وأربعين صفحة من القطع الكبير عن فرانز كافكا.

.. وصيف عام ١٩٨٣، بمناسبة مرور مئة سنة على ميلاد كافكا، أقيمت احتفالات باذخة في عدد من العواصم العالمية: لندن، باريس، فينا، براغ التي ولد فيها عام ١٨٨٣ في ٣ تموز .. وفي مدن أخرى. وكانت احتفالات لم يحظ بمثلها، أي أديب عالمي آخر، سواء أكان في مستوى كافكا، أو في مستوى أعلى. كما هو الأمر لدى: هوغو، فلوبير، دوستويفسكي، ديكنز، راسين، همنغواي.. موليير.. الخ.

فهل كان كافكا أهم من هؤلاء – وأمثالهم، ممن هم في مستواهم الأدبي كثير– وهل قدم للإنسانية، من أدب وفكر، ما لم يقدروا على الإتيان بمثله؟ أم إن وراء الأكمة ما وراءها، كما يقول المثل العربي الدارج؟ وإن هناك مؤسسة تدعو وتروج لأمثال كافكا من اليهود الصهيونيين؟

أخطر ما في الأمر أن الاهتمام بكافكا، أمسى شيئاً يشبه الزي الشائع. ولئلا يتهم أحد ما بأنه متخلف أو " دقة قديمة " OLD FASHION نرى من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبادر إلى الإدلاء بدلوه في هذا المجال، دون التزود بما يكفي من معرفة أو اطلاع على أدب كافكا واتجاهاته السياسية والفكرية . ولا انفصام بين هذين الطرفين، حتى إن أديباً معروفاً، كالصديق الراحل محمد عمران يوم كان رئيس تحريرمجلة "المعرفة" الشهرية التي تصدرها وزارة الثقافة السورية ، نشر ملفاً خاصاً في ثلاث دراسات عن كافكا عام ١٩٨٢ في هذه المجلة استهله بكلمة قال فيها: " إن أدب كافكا شهادة قاسية على استلاب الإنسان في ظل الحضارة الصناعية" وخلال ذلك أشار إلى قصتين لكافكا هما "القضية" و "المحاكمة" وهما في الواقع قصة واحدة اختلف ناقلاها إلى العربية في ترجمة عنوانها. ثم انتهى إلى القول: "الدراسات الثلاث التي نقدمها في هذا المحور تلتقي في وجهة نظر واحدة: رد تهمة الصهيونية عن كافكا".

في زيارتي الأولى "براغ" قال لي صديق أديب يعمل هناك في الإذاعة:

- ألا ترغب في مشاهدة البيت الذي سكن فيه كافكا فترة من الزمن في هذه المدينة؟

لم يكن كافكا يومئذ لديّ سوى روائي متميز. وكنت قد قرأت له روايته المترجمة "المحاكمة". وليست لدي أية فكرة عن أبعاده الفكرية.. أو السياسية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في بيت كافكا:

كان البيت طريفاً بالفعل، ويقع في زقاق طريف أيضاً، قرب القصر الجمهوري، ويدعى "الزقاق الذهبي " وماتزال تسميته التشيكية – السلافية في الذهن "زلاتا أوليتزا" ذاك أنها كانت مأهولة في بعض الأزمنة بأولئك الناس الذين يؤمنون بـ " حجر الفلاسفة " مثلما كان العرب يسمون حلم الوصول إلى المعادن النفيسة من المعادن الخسيسة:

بيت صغير منمنم. غرفة واحدة واطئة الجدران، في صدرها نافذة تطل على بستان جميل.. ومنظر رائع.

عرفت في هذه الأثناء أن كافكا ولد في أسرة يهودية تشيكية، وكان والده تاجراً يشتغل في تجارة الخردوات. أما والدته " جوليا لافي " فهي الأخرى يهودية انحدرت من أسرة اشتهرت بإنجاب الدارسين والحالمين الشواذ. وكان كافكا أكبر إخوته، وقد توفي أخواه الآخران وهو طفل. وعلى العموم فإن كافكا عاش شطراً كبيراً من حياته في ظل الإمبراطورية النمساوية المجرية التي كانت تبسط سلطتها على وسط أوروبا.

لماذا نقف عنده؟

في كتاب صدر في دمشق عام ١٩٧٨ بعنوان "اليهود في ألمانيا" – طبعة خاصة – يعرض أسماء عدد من المشاهير اليهود في مختلف مجالات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإبداع أمثال: **جاك أوفنباخ** (الموسيقي) **وهاينريش هايني** (الشاعر) **وتسيغموند فرويد** (عالم النفس الشهير) **وفيليكس منديلسون** (الموسيقي) **وغوستاف ماليز** (الموسيقي) **وهاينريش هيرتز** (الفيزيائي).. الخ.

وهناك سواهم من مشاهير اليهود في الشرق والغرب أمثال الكاتبين الروسيين: ايليا اهرنبورغ وبوريس باسترناك. والسينمائي الروسي: سيرغي ايزنشتاين. والمسرحي الأميركي آرثر ميلر.. والمفكر الفرنسي مكسيم رودنسون..

.. إن أحداً لم يتوقف في كثير أو قليل، أمام أي من هؤلاء المبدعين، كيهودي في ذاته. لأن الدين شيء خاص بالإنسان، ولكن الأمر كان لابد أن يختلف لو أن أحدهم، فعل ما فعله "حاييم وايزمن" الكيميائي روسي الأصل الذي بذل جهوداً معروفة في الحصول على "وعد بلفور" وتأسيس دولة إسرائيل. وهذا ما أصر العالم اليهودي أينشتاين، على أن يتجنبه، حين عرضت عليه رئاسة دولة إسرائيل، رغم أنه لم يكن بعيداً تماماً، عن التعاطف مع اليهود..

إن فرانز كافكا الذي نتحدث عنه ليس هو ذلك اليهودي، بل هو ذلك اليهودي – الصهيوني، الذي وظف كثيراً من أعماله الأدبية الهامة في خدمة القضية اليهودية – الصهيونية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرانز كافكا.. يهودياً:

عام ١٩٧٢ نشر الشاعر سعدي يوسف دراسة بعنوان " فرانز كافكا صهيونياً – نصوص من "يانوش " وغوستاف يانوش هذا كان صديق كافكا وزميله في شركة التأمينات التي كان الاثنان يعملان فيها . وبعد وفاة صديقه نشر يانوش كتاباً عنوانه "أحاديث مع كافكا" ترجم إلى عدة لغات.

يقول يانوش: "أرى أن كافكا كان مؤمناً بآراء الحاخام " زفي هيرش كاليتشر" الذي اقتفى هيرتزل أثره والقائلة: إن خلاص اليهود لن يكون على يدي المسيح المنتظر، بل بجمع اليهود المشردين، في الأرض المقدسة".

وينقل روجيه غارودي في كتابه " واقعية بلا ضفاف " – الفصل المكرس لكافكا – قوله على لسان كافكا:

" لقد أصبحت مواطناً في عالم آخر، غير عالم أبي، ولابد أن يكون أرض كنعان، أرض الأمل الوحيدة بالنسبة لي، لأنه لا توجد أرض ثالثة للبشر".

ويؤكد هذه الفكرة النص الذي يورده سعدي يوسف، على لسان كافكا في حديثه مع يانوش، وفيه يقول بكل وضوح:

" لم يعد اليهود اليوم راضين بالتاريخ. إنهم يتطلعون إلى وطن متواضع اعتيادي في هذا الكون. إن عدداً من اليهود الشباب يعودون إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلسطين. إنها عودة المرء إلى نفسه، إلى جذوره، إلى انتمائـــه،. إن الوطـــن القومي في فلسطين، هو بالنسبة لليهود هدف ضروري".

كافكا يشرح معنى دياسبورا

ويوضح الأستاذ يوسف أن كافكا كان مقتنعاً حتى بخرافـــة "الشـــعب المختار" مؤمناً أن اليهود أسمى من غيرهم، فقد سأل يانوش كافكا عن معنى: دياسبورا Diaspora – معناها المباشر: اليهود المشتّتون بعد الســـبي البـــابلي ٥٨٦ ق.م – فقال:

" إنها تعني تشتت الشعب اليهودي. إن الشـــعب اليـــهودي مشـــتت كالبذور، وكما تمتص بذرة القمح الأشياء من حولها وتكتنزها، وتحقق نماءً أكثر، فكذلك كتب على اليهود: أن يمتصوا كفـــاءات البشـــر ويطـــهروها، ويمنحوها تطوراً أعلى. إن موسى ما يزال حقيقة واقعة ".

من مذكرات كافكا

عام ١٩٦٤ ظهرت في سلسلة كتب "بنغوين" مذكرات فرانز كافكا، وقد جمعها الكاتب الصهيوني الذي كان مقيماً في فلسطين المحتلة " ماكس برود". وفي هذه المذكرات يتحدث كافكا عن فرقـــة تمثيـــل يهوديـــة قـــامت فـــي تشيكوسلوفاكيا، وقد ساعد كافكا في تنظيم رحلات سياحية لهذه الفرقة إلـــى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معظم القرى في إقليم بوهيميا، وهو يقول في الصفحة ١٧٣ ما يلي عن هـذه الفرقة:

"وأخيراً فقد أمضيت فترة طويلة، مع الممثلين اليهود الذين تولـــدت لديهم القناعة بالجمعية الصهيونية بعد إلحاح شديد. كنت أكتب لهم الرسائل التي يطلبون فيها من الجمعيات الأخرى ، ما إذا كانوا يرغبون في مشاهدة العروض المسرحية لأولئك الممثلين – كفرقة تمثيل زائرة. ثم قمت بكتابـــة المذكرة المطلوبة، وطبعت عنها نسخاً أخرى كثيرة ".

ويدرس اللغة العبرية

و يذكر روجيه غارودي أن كافكا كان يواظب علـــى دراســـة اللغـــة العبرية حتى آخر أيامه بكل جدية. وقد بدأ هذه الدراسة عـــام ١٩١٧ حيـــن قابل "دورا ديامنت" اليهودية البولندية على بحر البلطيق.

وفي تحليله علاقة كافكا بالديانة اليهودية يقول غارودي " كان كافكـــا يبحث بشوق عارم عن التأصل في الحياة، وعن الارتباط بجماعة اجتماعيـــة وروحية. كان ينتمي بوصفه يهودياً إلى شعب مختار". و "اليهودية تمثّل فـــي آن واحد جماعة اجتماعية ودينية، فاليهودية ليست مسألة إيمان بعقيدة، ولكنها تجربة حيوية عاشتها جماعة تكيفت وفقاً لهذه العقيدة".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويستطرد المفكر الفرنسي في حديثه عن ديانة الكاتب الحائر بين جنسيته التشيكية، وبين لغته الألمانية، وبين عقيدته الروحية قائلاً:

" فالرب الوحيد في تصوره هو "يَهْوَه"، الرب الباطش الرهيب في عرف اليهود، الذي لا ترد كلمته الصارمة" و "تاريخ إسرائيل في نظره صورة للعلاقة التي تربط الإنسان بالرب، وشعبه هو الشعب المختار، ولكنه الشعب العاصي أيضاً الذي حقت عليه لعنة الرب. وهو يقول: لا أخون جنسي في الواقع، فهذا أمر مفروغ منه"

وعلى الرغم من أن غارودي يلاحظ أن كافكا "يهودي مقطوع الصلة بالطائفة اليهودية" فإنه يؤكد في الآن ذاته أنه "كان يهودياً صحيحاً".

.. وفي عبارات محددة مكثفة يحدد غارودي أزمة كافكا النفسية العاصفة، فقد " كان يشعر أنه أجنبي في براغ مسقط رأسه. كان معزولاً عن الأهالي المتكلمين بالألمانية لكونه يهودياً. كما كان منفصلاً عن الشعب بوصفه ابناً لأحد كبار التجار. ومع أن الحي المخصص لسكن اليهود وحدهم، كان قد هدم إلا أن العزل المعنوي ظل قائماً. " وينقل غارودي في هذه المناسبة قول كافكا في إحدى محاوراته مع "يانوش" :

" إن المدينة اليهودية النتنة مدينة حقيقية تعيش في نفوسنا أكثر مما تعيش المدينة الصحية الجديدة المحيطة بنا ".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يطرح روجيه غارودي تفسيرات متعددة لأدب فرانز كافكا وشخصيته تتراوح بين أقصى اليمين وبين أقصى اليسار. بل إن ثمة" من تصور أنه وجد في كافكا آخر أنبياء إسرائيل ".

أما التفسيرات الماركسية، فإنها ترى في كافكا " إما بورجوازياً صغيراً متردياً في تشاؤمية ناخرة كالسوس، وإما رجل الثورة، إن لم يكن رجل الاشتراكية"!

ويتابع غارودي قائلاً:

" أرادت الوجودية، هي أيضاً أن تدخل كافكا، في نطاق الجهود العبثية لسيزيف، وفي إطار القلق الطاغي عند هايديغر. أما اختصاصيو التحليل النفسي فقد أغرتهم "رسالة إلى الأب " فاعتقدوا أنهم اكتشفوا في شخصه نموذجاً مثالياً لعقدة أوديب. وخاض الطب أيضاً في المعمعة، فلم يتردد بعضهم في العثور على تفسير حاسم ونهائي لرواية "التحول" أو لرواية "المحاكمة" اللتين كتبهما عامي ١٩١٣ و١٩١٤ من خلال مرض الدرن الرئوي الذي لم يصب به إلا عام ١٩١٧ ".

ولا شك أن ضباب الغموض والتجديد والترميز في أعمال كافكا ساعد النقاد، ولا سيما اليهود ذوو النزعة الصهيونية، الذين يريدون إضافة " عبقرية أخرى " إلى " العبقريات اليهودية " في التاريخ، على تقليب وجهات النظر، وتقديم التفسيرات المختلفة لأعماله الأدبية ونوازعه النفسية. وكان في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإمكان ترك هؤلاء الناس، يقولون ما يشاؤون، ومـــا تريـــد لـــهم ميولـــهم وعواطفهم، لولا أن في أدب كافكا، ما يقطع الشك باليقين، ويضع النقاط على الحروف تماماً، ويفسر الغامض، ويشخص المجرد، ويفك أسرار الرمز.

.. يدور بعض قصصه في جو عمالي، فيقال : إنه رجل الاشـتراكية . ويحار بعض أشخاصه في قلق ضار، فيُسلك كافكا في عـــداد الوجوديـــين. ويصاب بالسل الرئوي عام ١٩١٧ فيفسر في ضوئه عملان كتبـــهما قبـــل ثلاث سنوات أو أربع! فماذا بعد؟

إن لم يكن كافكا " آخر أنبياء إسرائيل " فلا جدل في أنه حَبْر عتيق، قد يبز في إيمانه بيهوديته وصهيونيته كثيرين من الحاخامات داخـــل إســـرائيل وخارجها.

جوزيف. ك يهودي الغيتو:

من هو "جوزيف . ك" في رواية كافكا " المحاكمـــة" والتـــي تـــترجم أيضاً: "القضية" إنه هو اليهودي المعزول في الغيتـــو GHETTO – الحـــي اليهودي المغلق – وليس هو إنسان عصر الرأسمالية المسحوق في أوروبا الصناعية البورجوازية.

.. ربما كان بعض اليهود بروليتاريين Proletarian، وهنـــاك حركـــات يهودية وضعت لنفسها لافتة اشتراكية، غير أنها في اللحظـــات الحاســـمة أو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

"عندما دق القنا بالقنا" حسب التعبير الشعبي، أماطت اللثام وأسفرت عن وجه يهودي صهيوني بشع.. **وقد كان لليهود الصهيونيين في الاتحاد السوفييتي السابق، يد طويلة وكثرة عددية، ووجود على أعلى مستويات السلطة منذ عام ١٩١٧، وظلوا كذلك حتى السنة التي انهار فيها الاتحاد. وهذه حقيقة باتت معروفة جداً.**

أيادي اليهود الطويلة

أكثر من ذلك، فإن اليهود في تشيكوسلوفاكيا، نظموا إيصال الأسلحة إلى إسرائيل بعد استلام الشوعيين الحكم عام ١٩٤٨. **وقد تم ذلك بإشراف ستانسلاف سلانسكي أمين عام الحزب الشيوعي. وكان وزير خارجيته في ذلك العهد هو الذي أرسل والد مادلين أولبرايت – وزيرة الخارجية الأميركية حالياً – اليهودي جوزيف كوربل سفيراً لتشيكوسلوفاكيا في رومانيا. وقد حوكم الاثنان الأمين والوزير عام ١٩٥٢، وأعدم الأول ..**
أكثر من هذا فإن دهاقنة حزب العمل في إسرائيل يعدون أنفسهم اشتراكيين. وهل ينسى منظر " غولدا مئير " رئيسة وزراء إسرائيل السابقة وهي تبكي بعد أيام من حرب تشرين ١٩٧٣، على كتف زعيم حزب العمال البريطاني؟ ذاك أن العامل البروليتاري – Proletariat هي طبقة عمال المعامل الحديثة تحديداً – يظل إنساناً آخر غير اليهودي، ولا سيما يهودي الغيتو Ghetto .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا لا يمكن أن يكون هو نفسه العامل الأوروبي المسحوق. ومن هنا يجيء خطأ الكثيرين في فهم شخصية " جوزيف. ك" ، بطل رواية: المحاكمة.

علاقة الرواية بالسنهدرين

في كتاب تشارلز أوزبورن "كافكا" الذي ترجمه مجاهد عبد المنعم مجاهد عام ١٩٦٧ يرى أن هذه الرواية تسعى إلى كشف حالة الفساد في دار الحاخامية اليهودية، التي هي سليلة " السنهدرين" أي المجمع الديني الأعلى عند اليهود. وقد استعار كافكا وضع هذا المجمع للنظر في قضية شخص يهودي في "الغيتو" هو جوزيف. ك. ولم تكن المحكمة محكمة مدنيَّة بل هي محكمة دينية.

يقول غارودي: إن هذه المحاكمة التي هي عبارة عن شبح ظهر في الليل ليست سوى إدراك للانتصار المحقق ضد الشبح، ومن هنا فهي تأكيد للانتصار على شبح السلطة الحاخامية.

رموز كافكا الصهيونية

في دراسة عنوانها " حل رموز كافكا الصهيونية " يتحدث كاظم سعد الدين عن قصة "القلعة" أو "القصر" لكافكا فيرى أن القلعة كانت في الأصل لليبوسيين وهي "قلعة حصينة على الرابية الجنوبية – الشرقية من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أورشليم، كانوا يطلقون عليها اسم: صـــهيون". – مزامـــير داود ٢/٧٦ – وصار هذا الحصن يعرف باسم جبل صهيون في عهود تالية.

استولى داود على هذا الحصن الذي كان بيد اليبوسيين وبنى هناك قلعة أو قصراً وموضعاً "لتابوت العهد" وقد وُضِعَ لوحا العهد في هـذا التـابوت: سفر الخروج ٣٤: ٣٩/٣٧ . وهذان اللوحان هما الحجريان اللـذان نقشـت عليهما الشريعة الموسوية.

قلعة كافكا إذاً ترمز إلى إعادة النظر في هذه القوانين، وتحديد العلاقـة بين القلعة وبين القرية عن طريق ك. المساح. فوظيفته مسح القريـة التـي ترمز إلى الحياة الدنيا لليهود، ومعرفة قوانينها وعاداتها، وإيجاد نـوع مـن العلاقة الجيدة بينها وبين القلعة التي ترمز إلى السلطة العليا، السلطة الدينيـة اليهودية.

من هو " الصرصار " في المسخ

وتتضمن قصة "المسخ" نقداً حاداً لحياة اليهودي في "المنفى" التي تعتمد على الطفيلية من ربا وخدمات تافهة ، ووساطة تجارية ، وبيع سلع بالطواف باعةً متجولين من أجل المال.

يقول كريكور في المسخ:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

"آه، يا إلهي! أي وظيفة منهكة اخترت. الطواف في البلاد يوماً بعد يوم! هناك فوق ذلك كله بلاء الترحل الموصول، والقلق. المعارف العارضون لا يصبحون أبداً أصدقاء حميمين. فليذهب الشيطان بذلك كله. غيري من الباعة المتجولين يعيشون مثل نساء الحريم. إني أعمل لرئيسي، وأنا مضطر على المواظبة على ذلك، بسبب والدي وديونه التي يستغرق سدادها خمس أو ست سنوات أخرى. وبعد ذلك أتغيب وأحرر نفسي تحريراً كاملاً.

.. ويعلق الأستاذ سعد الدين على هذا النص من "المسخ" قائلاً: أما الآن فليتحرر من الوضع الرهيب بالنسبة له: أفاق "كريكورساما" – ساما باللّغة التشيكية – السلافية تعني: الوحيد – البائع المتجول ذات صباح من أحلامه فوجد نفسه قد تحول إلى حشرة ضخمة: صرصار.

.. إذاً هكذا، فإن اليهودي خارج فلسطين: "إسرائيل" لا يستأهل أن يكون أكثر من صرصار..

بنات آوى وعرب

ويصف كاظم سعد الدين قصة كافكا "بنات آوى وعرب" بأنها واضحة جداً في هدفها، فالجَمَل فيها رمز لفلسطين، وبنات آوى هي اليهود ، والمسافر الأوروبي هو الاستعمار البريطاني قبل وعد بلفور وبعده. وشيخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العرب، والعرب الآخرون، الأنظمة العربية الفاسدة التي تتعاون من أجل جعل الجمل ينفق.. ثم يسهّلون الأمر لبنات آوى. علماً أن العرب يملكون بنادق لكنهم لا يستعملونها، لأن الأوروبي يمسك يد الشيخ، فيقول هذا تمادياً في خيانته: الحق معك أيها السيد، لندعها تمارس مهنتها، لقد حان وقت الرحيل.

سور الصين وبرج بابل

أما قصة "سور الصين العظيم" فإن الأستاذ سعد الدين يلاحظ أن الصين هي رمز فلسطين التي سيحتلها الصهيونيون . ولكن ماذا عن السور؟ ضد من سيبنى هذا السور؟

"إنه سيبنى للحماية من بدو الشمال، هؤلاء البدو الذين، رغم ذلك يستطيعون أن يهدموه في مواضع معينة. لأن هذه القبائل على اطلاع، خيراً منا، بأمور السور، لأنهم دوماً يغيرون خيامهم كالجراد، فلأجل أن يكون – السور – حماية لهم قروناً طويلة، فما عليهم إلا أن يستفيدوا من خبرات وحكمة الشعوب والعصور من الناحية العمرانية، " ثم يعقد مقارنة بين سور الصين وبين برج بابل". ويقول: إن سور الصين سيكون لأول مرة في تاريخ العالم أساساً أميناً لبرج بابل جديد. ثم يتحدث عن السلالات الحاكمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والإمبراطور الذي لا يراه أحد. وهل تخفى دلالة الإشارة إلى بـــرج "بـــابل" عاصمة نبوخذ نصر سابي اليهود ومدمر عاصمتهم أورشليم عام ٥٨٦ ق.م؟

وينتهي الأستاذ سعد الدين إلى أنّ كافكا أسقط رمز سور الصين علـــى حدود الدولة المرتقبة، خشية الشعب الذي سرقت منه الأرض. وهنا يطلـــق اسم القبائل أو البدو . أما بدو الشمال، فهم رمز الشعب العربي ونبوخذ نصر من ناحية، والدولة العثمانية التي كانت تعارض فكرة إعطاء وطن لليهود في فلسطين، من ناحية ثانية.

أبناء يعقوب الأحد عشر

... وأما قصة "أحد عشر ابناً" فهي واضحة الإشارة من عنوانها بادئ ذي بدء. وهذا ما انتبه إليه "أوزبورن" الذي قال إنها ترمز إلى لـــم شـــتات اليهود المتفرقين في العالم. وأوضح أنها مقتبسة من قصة الأسباط، وهـــم أبناء يعقوب الذي هو اسرائيل نفسه. وتذكرنا أيضاً بقصة يوسف وإخوتـــه الأحد عشر، فهي – أي القصة – كأنها تقول: اجتمعوا يـــا أبنـــاء الأســـرة الواحدة.

وفي قصة "تجنيد القوات" دعوة صريحة لليهود.. لتجنيد أنفسهم رغـــم أن الأحداث تدور في الصين، كما يقول أوزربون أيضاً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

.. وبعد، فلا بد من القول إن هذا غيض من فيض، ذاك أن كتابات كافكا في كثير منها، على هذا النحو أو ذاك مكرسة لشرح القضايا اليهودية والدعوة إلى "العودة" و "لم الشتات" ، في واحدة من أفضل صيغ الطروح الصهيونية. إذ أنها تتم من خلال أرقى أشكال التعبير البشري: الأدب. وليست رموز كافكا، كما لاحظنا، من الكثافة بحيث تغدو معها سراً مستغلقاً ، وليست صعبة إلى الحد الذي يعسر معه تبسيطها. هي في منتهى الوضوح والسهولة، شريطة ان يتوفر لدى قارئ كافكا شيء من الانتباه والتدقيق، وأن يتذكر وهو يقلب صفحاته أنه كمن يسير وسط حقل ألغام.

لقد حاول غارودي في كتابه "واقعية بلا ضعاف" – وكان ما يزال منتمياً إلى الحزب الشيوعي الفرنسي – أن يكون في منتهى البرود والحياد وهو يدرس كافكا في الفصل الخاص به. إلا أنه رغم ذلك لم يستطع أن يمنع نفسه من القول: "إن عالم كافكا الداخلي، قد شكلته العقيدة اليهودية ، وقراءاته المستمرة لباسكال ودوستويفسكي وليون بلوى وكيركغارد، وبالأخص التوراة، ودراسته للغة العبرية وللتلمود، وشغفه بالمسرح الديني اليهودي".

المصادر:

(*) الشرق الأوسط – العدد ٦٧٧٦ تاريخ ١٩٩٧/٦/١٧

١- القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية – د. عبده عبود – اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢- واقعية بلا ضفاف - روجيه غارودي - ترجمة: حليم طوسون - دار الكاتب العربي - القاهرة.

٣- كافكا - تشارلز أوزبورن - ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٦٧

٤- اليهود في ألمانيا - سلسلة مقالات كتبها: ليوسيفرس في صحيفة (شتيرن) الألمانية - لم يذكر اسم المترجم - دمشق: ١٩٧٨ - طبعة خاصة.

٥- مجلة "أقلام" - بغداد - العدد: ٧ - عام ١٩٧٢

٦- مجلة "أقلام" - بغداد - العدد: ٩ - عام ١٩٧٩

٧- مجلة المعرفة - وزارة الثقافة السورية دمشق - ١٩٨٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثانـــي

دوستـــويفســـكي واليـــهود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دوستويفسكي واليهود

أ - أوراق من "مفكرة كاتب":

اليهودي والشكوى الدائمة.

ب – دوستويفسكي يتنبأ بمطامع الصهيونية في فلسطين.

ج– لا فرق بين يهود معدمين ويهود أثرياء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوراق من مفكرة كاتب
اليهودي والشكوى الدائمة

- ١ -

يتساءل الإنسان وهو يقرأ مقالات الروائي الروسي العظيم فيـــودور دوستويفسكي حول المسألة اليهودية: ترى ما الذي أثار توتر هذا الكـــاتب، حتى إنه غادر موضوعاته الروائية، وانصرف إلى الكتابة في هذه المســألة على نحو مباشر؟

في ذلك الزمن ، وهو النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لم يكـــن زمن طويل قد مضى على إلغاء قوانين القنانة في روسيا. وكان ذلك قد حدث عام ١٨٦١، وكانت البورجوازية الروسية النامية تستعد لإكمـــال اختراقـــها النظام القناني، وإقامة نظامها الرأسمالي الجديد. وكان الأثرياء اليهود بيـــن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه العناصر البورجوازية . ولعل ما ضاعف من شعور دوستويفسكي بالخطر والخوف منهم هو سيطرة اليهود العالمية على مصارف النظام الرأسمالي في أوروبا والولايات المتحدة سيطرة شرسة وخبيثة.

وينهي دوستويفسكي دراسته التاريخية حول المسألة اليهودية* بالقول: "ولهذا فليس من العبث أن نجد اليهود يسودون البورصات المالية هناك – يعني أوروبا – ليس من قبيل المصادفة أن يكونوا المسيطرين على بنوك الاعتمادات السلفية، وليس من قبيل المصادفة – أعود فأكرر هذا – أن يكونوا المسيطرين على دفة السياسة العالمية.. وماذا سيؤول إليه الحال بالنسبة إلى اليهود؟ إن ميعاد إمبراطوريتهم يقترب .. إمبراطوريتهم الكاملة التي لن يشاركهم فيها أحد".

كتب دوستويفسكي هذه الكلمات في زاوية كان ينشرها في إحدى الصحف الروسية تحت عنوان "مفكرة كاتب" عام ١٨٧٧. أي قبل عشرين سنة من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال الذي قرر إقامة دولة لليهود بعد خمسين سنة. ولم يتح لهذه الدراسة أن تنشر مرة ثانية – وبالروسية وحدها فقط – إلا عام ١٨٩٥ حين طبعت أعماله الكاملة.

ولأن دوستويفسكي استطاع في هذه الوثيقة أن يتنبأ بأيديولوجية الحركة الصهيونية، وأن يحلل نفسية اليهودي المهيَّأ لأن يكون صهيونياً،

* – سبقت الإشارة إلى هذه الدراسة ،ولكننا نعرضها هنا بالتفصيل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولأنه استطاع أن يضع يده على الأفكار والمبادئ الأساسية للصهيونية ويعلنها صريحة سافرة فإن الحركة الصهيونية العالمية تولت طمس هذه الوثيقة وحاولت بمختلف السبل أن تمنع ترجمتها إلى لغات العالم الأخرى.

يومئذ لم تكن الصهيونية قد تمكنت من ترويج أسطورة "معاداة السامية" في أوروبا وغيرها من القارات، وكانت تدرك تماماً أنه ليس من السهل التصدي لتشويه سمعة كاتب كبير في مستوى فيودور دوستويفسكي بالذات. ولذلك فإنها آثرت أن تصمت مكتفية بإسدال الستائر على تلك الدراسة التحليلية للمسألة اليهودية.

يقول السيد إبراهيم الكوني الذي قام بترجمة هذه الدراسة من اللغة الروسية إلى العربية، ثم نشرتها مجلة "بيروت المساء" عام ١٩٧٥ * في ثلاث حلقات: إن هذه الدراسة الخطيرة عن المسألة اليهودية لم تكن لترى النور، أقصد أن تترجم إلى لغة أخرى غير الروسية لولا المصادفة وحدها. إذاً فيمكن الاعتبار أن العربية هي أول لغة في العالم تنقل إليها دراسة دوستويفسكي بعد مضي زهاء مئة سنة على كتابتها، على الرغم من أن

* – نشرت مجلة "الثقافة العالمية" الكويتية في عددها ٨٤ – أيلول، تشرين الأول: سبتمبر، اكتوبر ١٩٩٧ ترجمة للدراسة ذاتها بقلم د. أشرف الصباغ، قال في مقدمتها إن دراسة دوستويفسكي هذه، لم تظهر إلى النور بعد عام ١٨٩٥ في أي من الطبعات لأعمال دوستويفسكي – وظهرت فقط عام ١٩٩٤ في كتيب صغير ضم مقالات أخرى. وهذا يعني أن ترجمة السيد الكوني- كانت هي الأولى عالمياً.. عن اللغة الروسية، وسبقت المقالة المذكورة بتسعة عشر عاماً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جميع أعمال ومقالات هذا الكاتب العبقري، قد ترجمت إلى لغات العالم قاطبةً.. فكيف أمكن إخفاء هذه الوثيقة، وكيف تم القفز عنها أو تجاهلها، أو عدم الانتباه إليها.. طوال السنوات التي مضت؟

الدوائر الصهيونية وحدها تملك الإجابة عن هذه الأسئلة.

ومنذ البداية فإن دوستويفسكي يعلن:" متى أعلنت عن كراهيتي لليهود كشعب؟ إن قلبي لم يعرف كراهية من هذا النوع أبداً، وأولئك اليهود الذين عرفوني، وكانت لهم علاقة بشخصي يعرفون هذا جيداً".

بعد ذلك ينشر مقتطفات من رسائل بعث بها إليه بعض المثقفين اليهود. إن أحدهم يتهمه بأنه يكره بني قومه قائلاً: "أنتم عندما تتحدثون عن "الجيد" – كلمة روسية تعني: اليهودي – فأنتم تشملون بهذا المفهوم كل الجماهير الكادحة من الثلاثة ملايين يهودي في روسيا، والذين يخوض منهم مليونان وتسعمئة ألف نضالاً يائساً في سبيل حياة شريفة. وهم أنظف أخلاقياً لا من بقية الشعوب فحسب، ولكن من الشعب الروسي نفسه**" ثم ينتهي هذا الكاتب إلى القول: "للأسف أنتم لا تعرفون الشعب اليهودي أو حياته أو روحه أو تاريخه ذا الأربعين قرناً".

إن هذا الكاتب الذي آثر دوستويفسكي ألا يذكر اسمه، لم يكتف بتأكيد تعصبه من خلال التظاهر بالروح الطبقية، بل إنه، كشف القناع عن

** – هنا يضيف د. صباغ في ترجمته عبارة "الذي تولهونه"

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجهه أخيراً، بعد أن خانه التوازن، فإذا هو يتحول إلى مجرد يهودي متعصب يتحدث عن يهود روسيين.. لهم تاريخ يمتد أربعين قرناً (؟)

ويكتب دوستويفسكي ، راداً على هذا المنقف اليهودي: بعد أن يلفت النظر إلى أنه – أي الكاتب اليهودي – "لم يستطع أن يتمالك نفسه من أن يعامل الشعب الروسي المسكين من أعلى":

لنفترض جدلاً أن من الصعب الإلمام بتاريخ الأربعة آلاف سنة لشعب مثل اليهود، ولكني منذ البداية على علم بشيء واحد، وهو أنه ليس ثمة في العالم[1] بأسره شعب تشكى من قدره في كل دقيقة، ومع كل خطوة، وكل كلمة، فيجعلك تبكي على تحقيره.. على آلامه.. على عذابه.. وكأن الذين يحكمون أوروبا ليسوا هم أنفسهم؟ وكأن الذين يسيطرون على البورصة ليسوا هم؟ وكذلك الأمر مع السياسة والشؤون الداخلية وأخلاقيات الدول الأوروبية[2] ".

ويمضي دوستويفسكي أبعد من ذلك، فيقلب الموضوع كله، ويعيده إلى أصله واقفاً على قدميه لا .. على رأسه، كما يفعل اليهود المتعصبون : "من وجهة نظري أن الفلاح الروسي، بل والإنسان الروسي البسيط على وجه العموم يحمل على عاتقه ثقلاً أكثر من اليهودي بكثير".

---

[1] – في ترجمة د. صباغ: "ربما لا يوجد في العالم"

[2] – يشير د. صباغ إلى أن هذا الفصل نشر في طبعة ١٨٩٥ تحت عنوان " مع وضد" بالروسية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم يوضح ما يعنيه، وهو يخاطب صاحب الرسالة: "ألم يفكر يا تـــرى أنه عندما كان اليهودي يعتبر مشكلة اختيار مكان للإقامة مشكلته الأساســية، كان ثلاثة وعشرون مليوناً من الجماهير الروسية الكادحة تعاني من قوانيــن القنانة التي هي بالطبع أكثر قسوة بكثير من اختيار مكان الإقامـــة؟ ومــاذا أقول؟ هل أشفق اليهود على الروس في ذلك الوقت؟ لا أعتقــد ذلــك، ففــي غرب أوكرانيا وجنوب روسيا[1] سيجيبونك بكثير من التفصيــل المدهــش إذا شئت: **لقد كان اليهود في ذلك الوقت يصرخون مطالبين بالحقوق التي لـــم يكن يملكها في ذلك الوقت حتى الشعب الروسي نفسه".**

وكانت قوانين القنانة السائدة في روسيا حتى عام ١٨٦١ تبيح لمالك الأرض أن يضرب الفلاح – القن، ويبيعه، ويدخل على زوجته فــي الليلــة الأولى.

ويتساءل دوستويفسكي عما حدث بعد أن تحرر الشعب من القنانة "**من الذي انقض عليه ونهشه كالضحية؟ مــن الــذي اســتغل جهلــه وعبطــه وسخَّرهُما لصالحه؟ من الذي بصق عليه بواسطة حرفــة امتــلاك الذهــب**

[1] – " غرب أوكرانيا وجنوب روسيا " في ترجمة د. صباغ: "أطراف روسيا الغربية وجنوبها".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأبدية التي اكتسبها على مدى قرون؟ وما الفرق بين اليهود الذين فطـــوا كل هذا وبين ملاكي الأراضي من الإقطاعيين؟ [1]"

لقد كان الإقطاعيون اكثر رحمة بالفلاحين " لكي لا ينهكوا قواهم . أما اليهودي فلم يكن ليهمه أمر استنزاف القوى العاملة الروسية . ما يهمه هو أن يأخذ ماله وينصرف".

ويشير دوستويفسكي من جانب آخر إلى ما فعله اليهود في الولايـــات المتحدة، حين انقضوا في الولايات الجنوبية عل الملايين من جماهير الزنوج المحررة، وامتلكوها، ووقعت في قبضتهم بواسطة حرفتهم التاريخية الشهيرة: الذهب، مستفيدين من عدم خبرة الزنوج المســتَغلين، ومحدوديـــة تجربتـــهم وجهلهم.

ويعود دوستويفسكي من جديد إلى.مسألة "حرية اختيار مكان الإقامـــة" فيقول:" **ولا أعتقد أن الإنسان الروسي نفسه قد منح الحرية المطلقة في هذا الاختيار". " أما بالنسبة إلى اليهود فالجميع يلاحظون أن حقوقهم في اختيار مكان الإقامة قد اتسعت كثيراً في السنوات العشرين الأخيرة"، "وبرغم ذلـــك يستمرون في الشكوى من الكراهية والمضايقة".**

---

[1] – ترجم د. صباغ هذا المقطع كما يلي:" من كان أول المنقضين عليه – الشعب الروسي – كمن ينقض على فريسة؟ من في العالب استغل علله ومشاكله؟ من أحاطه بالأكاذيب وخدعه بحرفته الذهبية الأبدية؟ ومن حل في كل مكان، حيثما استطاع وأدرك محل الإقطاعيين الذين ألغى نظامهم".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن دوستويفسكي ينتبه إلى عنصر في نفسية اليهودي لازمها ، ولم يفارقها عصوراً طويلة: الشكوى المستمرة من كراهية الآخرين واضطهادهم. وفي الآن ذاته فإن هذا اليهودي يمارس تجاه الآخرين كراهية مسبقة، وشعوراً بالتفوق والاستعلاء عليهم. يقول الكاتب الكبير:

" شاءت لي الظروف، هذا الزمن، أن أعيش مع الشعب بين جماهيره، في ثكنات الجيش، وداخل السجون والزنزانات، حيث كانت مجموعة من اليهود. حتى هنا – داخل السجون – لم يُحتَقر اليهود ولم يستَثْنوا . حتى حين كانوا يصلون –اليهود يصلون وهم يطلقون صراخاً حاداً مرتدين لباساً خاصاً – فلم يحدث أن رأى أحد في هذا غرابة، ولم يقم أحد بإزعاجهم في ممارسة طقوسهم الدينية، ولم يسخروا منهم".

ويؤكد دوستويفسكي أن الشعب الروسي لم يكره اليهود تلك الكراهية الدينية المسبقة القائمة على افتراض أن " يهوذا باع المسيح ". ولكن، كيف كان اليهود يعاملون الإنسان الروسي؟ يقول دوستويفسكي:

"لقد تحاشوه وحذروه على الدوام. يرفضون أن يشاركوه الطعام. ينظرون إليه من أعلى. وأين يحدث هذا؟ في السجون حيث تسود أنظمة صارمة". فماذا يفعل الروسي كرد فعل؟ " بدل أن ينتابه الغضب، يلجأ إلى هذا المنطق التبريري المتسامح: هذا بسبب ديانته. إن دينه يفرض عليه أن

يرفض مشاركتنا الطعام، أي ليس بسبب كونه حقوداً [1]. وعندما يعي – أي الروسي – هذا السبب القدري [2] فإنه يغفر لليهودي من كل قلبه".

[1] – في ترجمة د. صباغ: " أي لا لأنه شرير ".

[2] – في ترجمة د. صباغ: "السبب السامي ".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دوستويفسكي يتنبأ بمطامع الصهيونية في فلسطين

- ٢ -

أيام دوستويفسكي، لم يكن قد ظهر بعد ما ندعوه الآن الحركة الصهيونية. ومن أجل ذلك فقد كان يمكن ان يخطئ المرء في حديثه عن اليهود، وهو يعني هذه الفئة منهم التي انبثقت منها الحركة الصهيونية في ما بعد. وبالطبع فإن الكاتب الروسي العظيم، لم يكن مخطئاً في حديثه عن المسألة اليهودية، قدر ما كان يفتقر إلى دقة التعبير، الأمر الذي نجده موفوراً بين أيدينا الآن.

وكان دوستويفسكي حتماً يشير إلى أضاليل الدعاية الصهيونية التي بدأت بالظهور بعد وفاته بقليل، ضمن التحديدات التاريخية المعروفة، إذ كتب يقول:

" انتبهوا إلى هذه الحقيقة: لكي ينعم الناس بالوجود على الأرض أربعين قرناً من الزمان أعني عبر كل المرحلة التاريخية للإنسانية تقريباً، بل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أكثر من ذلك: في اتحاد محكم التماسك، صلب في وحدتـــه.. يفقـــد أرضـــه مرات عديدة، استقلاله السياسي، قوانينه، بل ديانته نفسها، أن يفقد ذلك كلـــه، **ويعود في كل مرة ليتحد، ليُبْعث من جديد في فكرته السابقة، ليعود بشـــكل آخر، ليَسُنَّ لنفسه القوانين، وربما الديانة، شعب عاش على هـــذا النحـــو، شعب قوي بصورة خارقة، ويملك هذه الطاقات، شعب كهذا لا مثيل له فـــي العالم. شعب كهذا لم يكن ليستطيع أن يكون كذلك بدون Status in Statu [1] التي احتفظ بها باستمرار، وفي كل مكان في أثناء التشتت والتشـــرد ممـــا تعرض له عبر آلاف السنين"[2].**

إن دوستويفسكي هنا، لا يضع يده فحسب على العقدة التي تشكلت فـــي نفس "اليهودي النموذجي" وهو في المفهوم المعاصر: اليهودي الصـــهيوني، وإنما يشير أيضاً إلى الفكرة الثابتة، ويسميها "الخالدة" التـــي نتجـــت عنـــها أسطورة الدم اليهودي وبالتالي:وَهْم التفوق اليهودي، أو الصـــهيوني، بلغـــة

---

[1] – لاتينية معناها: الوضع الثابت أو الخالد، والفكرة الخالدة أو الثابتة. وجاءت في ترجمة د. صباغ " الدولـــة داخل الدولة"

[2] – هذه ترجمة هذا المقطع كما وردت لدى د. صباغ :" هل تتصورون هذا الشعب الممتلئ بالحيوية، القـــوي النشيط بصورة غير عادية، والذي ليس له نظير في العالم، يضيِّع حدوده واستقلاله السياسي وقوانينه ، أكثر من مرة، وحتى دينه فقده. وفي كل مرة يعود فيتحد، ثم يبعث من جديد بالأفكار نفسها، وإن كـــان في صـــورة أخرى، فيضع لنفسه قوانين وديانة، ثم يعود فيضيع كل شيء. هذا الشعب لا يستطيع أن يحيا من دون "الدولة داخل الدولة" والتي حافظ عليها دائماً، في كل مكان خلال سنواته الألفين من أفظع المطاردات والتشتات"

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليوم. فهو يتحدث عن العقدة بالمعنى البسايكولوجي العام، هذه العقدة التي يرى " ألفريد أدلر(*) " أنها هي المسؤولة والكامنة وراء ما يسمى "الشعور بالتفوق ". كل ما هنالك أن "أدلر" يتكلم على مستوى فردي، في حين أن دوستويفسكي. تكلم على مستوى جمعي.

ولكن إلى أين يمكن أن يفضي هذا الشعور بالتفوق؟

يقول دوستوفسكي: لم يحدث لأقوى وأعرق الحضارات في العالم، أن استطاعت الصمود لتحقيق نصف هذا الزمن من البقاء، دون أن تفقد سلطتها السياسية ودون أن يتحلل شكلها القَبَلي – نسبة إلى القبيلة –"

أليس هذا تلخيصاً رائعاً، لمجمل المسيرة الفكرية والسياسية للحركة الصهيونية منذ إنشائها حتى اليوم؟

أليست وراء كثير من عمليات الاضطهاد الجماعي لليهود.. كي تبقى الشعور "بالفكرة الخالدة" حياً متيقظاً متوتراً باستمرار في نفس اليهودي.. ؟

مهما يكن من أمر فإن دوستويفسكي يرى أن "الفكرة الخالدة أو الثابتة Status in Statu " تتمثّل في التالي:

(*) – طبيب نفسي نمساوي "١٨٧٠-١٩٣٧" كان من تلامذة فرويد ثم انشق في اتجاه آخر وأسس علم النفس الفردي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ – الانحياز على مستوى العقيدة الدينية، والتقوقع القومي، والإيمان بأن ثمة شخصية وطنية واحدة يجب أن تسود في العالم هي: اليهودي. وكل مَنْ عداه من البشر ينبغي إسقاطهم من الحساب نهائياً، كأنهم لم يكونوا.

ويورد دوستويفسكي بعد ذلك نصاً يضعه بين قوسين، مما يوحي بأنه استقاه من بعض النصوص الدينية اليهودية – التلمود أوبروتوكولات حكماء صهيون – :

"أخرج من نطاق خاصيات الشعوب وكوِّن كيانك المستقل، واعرف منذ تلك اللحظة نفسها أنك وحيد عند الله. أمّا الآخرون فاسحقهم وحوِّلهم عبيداً، أو الجأ إلى استغلالهم. آمن أنك ستنتصر على العالم بأسره. آمن بأن الجميع سيخضعون لسلطانك في النهاية. شنِّع بالجميع في صراحة [١]. لا تتصل بأحد من بيئتك. حتى .. عندما تفقد أرضك أو شخصيتك السياسية، حتى حين تتشرد على وجه الأرض كلها، بين الشعوب جميعها، مهما يكن من أمر، ثق بأنك موعود إلى الأبد، ثق بأن كل شيء سيُبْعث. وما لم يحدث ذلك: عش وشنِّع. اتحد واستغل . انتظر، انتظر".

٢ – يرفض دوستويفسكي أن يُرجع مسألة "الحفاظ على الذات" إلى المطاردات التي تعرض لها اليهود، ولا سيما الاضطهاد الديني في القرون الوسطى. يرفض أيضاً أن يردَّ ذلك إلى" عدم حصول اليهودي على حقوق

[١] – في ترجمة د. صباغ " تجنب الجميع في حسم ".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متساوية مع الأمة الأصلية " ويقول :" حتى لو كا ن اليهودي متساوياً في الحقوق، فإنه لن يتنازل عن "الفكرة الخالدة"[1] أبداً مهما يكن الثمن ".

يرى دوستويفسكي أن التقوقع على " الفكرة الخالدة " يخفي وراءه فكرة ديناميكية جذابة ومحركة باستمرار، شيئاً عميقاً ذا محتوى عالمي، وهو أمر مبيت لا تزال الإنسانية عاجزة عن أن تقول فيه كلمتها الحاسمة. أما وجود الطابع الديني هنا، كواقع، فمسألة لا ريب فيها.

ويستطرد الكاتب الروسي قائلاً:

" يستحيل تصور اليهودي في معزل عن "ربه" . بل .. أكثر من ذلك: لا أومن بوجود يهود مثقفين لا يؤمنون بهذا " الرب" كما يزعمون. إنهم جميعاً من طبقة واحدة، بلا أي استثناء [2] ".

.. وهنا ينتهي كاتب " ذكريات من بيت الموتى" إلى ملاحظة مذهلة قالها عام ١٨٧٧ – قبل ٢٠ سنة من مؤتمر "بال" – وجاء فيها:

" الله وحده يعلم ما سيعانيه العالم في المستقبل، بسبب هؤلاء المثقفين اليهود بالذات".

---

[1] – يعود د. صباغ إلى ترجمة مصطلح Status in Statu بكلمة " الغيتو أو الجيتو" وكان قد ترجمها في مرة سابقة "الدولة داخل الدولة ".

[2] – ترجم د. صباغ هذا المقطع كما يلي: " إنني ما زلت أكرر أنه من المستحيل تصور يهودي من دون إله. فضلاً عن أنني لا أثق حتى في المثقفين اليهود الملحدين. إنهم جميعاً ليسوا إلا جوهر اً واحداً".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ – يؤمن اليهود جميعاً، بدءاً بأكثرهم فقراً، إلى أكثرهم ثراء، مروراً بالعلماء منهم والفلاسفة والحاخامات، بذلك اليوم الذي سيأتي فيه موسى ويجمعهم في أورشليم من جديد، ليحصد بسيفه رؤوس الشعوب الأخرى ليدعها تتدحرج تحت أقدامهم. ولهذا السبب بالذات نرى أن السواد الأعظم من اليهود يفضلون مهنة التجارة بالذهب، ومحاولة الحصول على أكبر قدر ممكن منه، حتى إذا ظهر موسى لن يكون هناك وجود لوطن جديد، ولن يضطروا للارتباط بأرض معينة يمتلكونها في ديار الغرباء. ينبغي فحسب امتلاك الثروة في شكل الذهب والجواهر القيمة الأخرى، وذلك ليكون حملها مريحاً:

عندما سيبزغ .. سيلمع ذلك الفجر،
فنحمل طبولنا ومزاميرنا،
وفضتنا وخيرنا ومقدساتنا،
على ظهورنا إلى بيتنا القديم ..
إلى فلسطين[1] ".

---

[1] – فيما يلي ترجمة هذا المقطع من كلام "دوستويفسكي" كما نقله إلى العربية د. صباغ:
بداية من أبسط "جيد" – أي: يهودي – حتى أرفع العلماء والفلاسفة والحاخامات، مازالوا يؤمنون أن المسيح المنتظر سيجمعهم ثانية في القدس، وسيلقي بسيفه جميع الشعوب تحت أقدامهم، الأمر الذي يجعل اليهود، أو في أبعد الأحوال: غالبيتهم العظمى، لا يفضلون إلا مهنة واحدة: تجارة الذهب وصناعته بكثرة، من أجل ألا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا سبق دوستويفسكي الكثيرين من الباحثين في القرن العشـــرين في وضع يده على هذا الملمح الخطير في نفسية اليهودي ، الذي يمنعه من الارتباط بالأرض والوطن، ويحول في الآن ذاته دون اشتغاله في الزراعـــة، وكل ما يمكن أن يشده إلى وطن أو تراب.

وينتهي صاحب "الجريمة والعقاب" إلى النتيجة:

إن سبب تعصب اليهود ليس الاضطهاد الواقع عليهم بالذات، بل حلـــم العودة الكاذب، المنبثق من وهم "الفكرة الخالدة"

وبكلمات دوستويفسكي:

" إذاً ليس الاضطهاد[1] هو السبب في هذا التماسك وإنما ثمـــة فكـــرة أخرى ".

يملكوا وطناً، وألا يكونوا مرتبطين بأرض غريبة. كل ما في الأمر أن يكون كل ما لديهم وكل ممتلكاتهم مجـــرد ذهب ومجوهرات. وهذا كله لحين ظهور المسيح المنتظر حتى يسهل حمل ونقل كل شيء وقتئذ:

حينما يتلألأ شعاع الفجر

ويضطرم، وتعزف المزامير

والآلات النحاسية والدفوف

سنحمل الفضة والخير

والمقدسات إلى البيت القديم ،

إلى فلسطين.

[1] - يترجمها د. صباغ " لم تكن أبداً المطاردات وحدها ".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمضي مؤلف رواية " المغفل " فيشرح على نحو رائع منهج الحركة الصهيونية – قبل ولادتها الرسمية – فيقول:

"وبَدَلَ أن يقوم اليهودي برفع المستوى الثقافي وبعث الكفاءة الاقتصادية وغرس المعرفة في الشعب الأصلي، فإنه يفعل العكس. فحيثما حل اليهودي قام على الفور بإذلال الشعب وإفساده إلى أقصى حد. حيثما حَلَّ، حَلَّ الانحطاط بالإنسانية أكثر، وانحط مستوى الثقافة أكثر فأكثر، ليزداد الفقر المدقع اللاإنساني، في الانتشار أضعافاً مضاعفة.. واليأس في صحبته[1] "..

ويقوم دوستويفسكي بقفزة هامة حين يصل إلى الكلام على اليهودالذين يستغلون " القوانين المحلية " فيقول: " لقد وانتهم الفرصة هنا على الدوام لاستغلال الحقوق والقوانين، إذ استطاعوا باستمرار أن يخلقوا لأنفسهم صداقات مع أولئك الذين يخضع لهم الشعب ، كأنهم ليسوا هم الذين يتذمرون – هنا على الأقل – من "الحقوق المحدودة " بالمقارنة مع السكان الأصليين!

---

[1] – يترجم د . صباغ هذا المقطع كما يلي: " فاليهودية تزدهر في تلك الأماكن التي يكون فيها الشعب جاهلاً فظاً أو غير حر، أو متخلفاً اقتصادياً. هناك فقط يصيرون سادة أو أحراراً، وتصير أمورهم على ما يرام. وبدلاً من أن يحدث العكس: بأن يرفعوا بنعودهم مستوى التعليم، ويعملوا على زيادة المعرفة ، وتوليد القدرة الاقتصادية لدى السكان الأصليين، بدلاً من كل ذلك، نجد اليهودي أينما حل وأقام، أذل الشعب وأفسد فيه أكثر فأكثر، وازدادت البشرية ذلاً وخنوعاً، وتدنّى مستوى التعليم أكثر. بل وانتشر بشكل أفظع فقر محكم غير إنساني، يسمو معه اليأس ويترعرع."

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد نالوا هذه الحقوق عندنا أكثر مما يجب، ليتسلطوا بها على السكان الأصليين بالذات[1] "..

ويربط دوستويفسكي ربطاً محكماً بين هذه الانتهازية السياسية اللاأخلاقية، وبين شعور اليهودي النموذجي بتفوقه وتميزه عن الأقليات الروسية الأخرى.. ويرى أن السبب "**يكمن حتماً في "الفكرة الخالدة" التي تتنفس القسوة والعنف وعدم الرحمة نحو كل من هو غير يهودي.. هذه الفكرة التي تطفح بنزعة الاحتقار إزاء أي شعب أو أي قبيلة.. بل أي كائن إنساني، طالما أنه غير يهودي**". ويرى دوستويفسكي من ناحية ثانية أن اليهودي النموذجي، بتكالبه على المال، وسعيه وراء مصلحته الخاصة، إنما يطبق فكرة " كل فرد لذاته ولذاته فحسب. كل تعامل مع الناس يجب أن يكون منصباً على مصلحته وحدها ". **ويؤكد دوستويفسكي أن هذه هي فكرة البرجوازية الأساسية: "البرجوازية التي استطاعت أن تكنس لحسابها النظام**

[1] – أوثر أن أنقل ترجمة هذا المقطع المستفيضة عن د. صباغ: وبالفعل فمجمل نشاط اليهود في جميع أرجاء بلادنا لا يتركز إلا في وضع السكان الأصليين قدر المستطاع في حالة تبعية مطلقة لهم، وذلك باستغلال القوانين المحلية، حيث تحايلوا على الدوام لإيجاد الثغرات في اللوائح والقوانين. وكانت لديهم القدرة دوماً على نسج العلاقات مع هؤلاء الذين بأيديهم مقدرات الشعب، حتى إنه لم يعد يحق لهم أن يتذمروا أو يهمهموا بأي شيء عن حقوقهم الأصلية بالمقارنة بالسكان الأصليين. لقد حصلوا لدينا على حقوق كثيرة إذا ما قورنت بما لدى السكان الأصليين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالمي السابق بأسره، بعد أن باتت تشكل المضمون الرئيسي لكل القـــرن الماضي على نطاق العالم الأوروبي كله".

وكمسيحي مؤمن تقي يرفض دوستويفسكي ذلك كله قائلاً: " وبرغم كل شيء، فإن المسيحية قد أدانت ذلك كله".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دوستويفسكي.. أخيراً

لا فرق بين يهود معدمين ويهود أثرياء

- ٣ -

إن دوستويفسكي، بذهنه المتوقد الصافي، بكل الزخم الفكري الأخـــاذ الذي يملكه، بكلّ الحدس العبقري الذي يتميز به.. يتنبأ هنا بما ســـيتمخض عنه المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بعد عشرين سنة، من كتابته هـــذه الدراسة، من رأي حول إقامة " وطن قومي لليهود في فلسطين " بل . . إنه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فـــهي ليســـت مجـــرد دولـــة.. بـــل إنـــها إمبراطورية.. هي التي تتطلع الحركة الصهيونية إلى إنشائها من الفـــرات إلى النيل. ويُصرُّ كاتب "الإخوة كارامـــازوف" علـــى أن يحيـــط بالمســـألة اليهودية من جوانبها المختلفة جميعاً فيقول:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

"مناقشونا يحاولون تأكيد أن اليهود معدمون. في كل مكان معدمـــون. وفي روسيا بالذات. وأن العناصر الفوقية وحدها هـــي الثريـــة. أصحـــاب المصارف وملوك البورصة". ثم يتولى الرد على هذه الأطروحة:

"ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً، مـــا دامـــت العنـــاصر اليهوديـــة الفوقية، مستمرة في سعي مسعور، يزداد قوة وصلابة كل يوم، ويهدف إلى إخضاع الإنسانية والسيادة عليها، في محاولة دؤوبة لإعطاء العالم الشـــكل والمحتوى اللذين يريدونهما له".

إنه لا يرفض إمكان وجود يهود جيدين " فاليـــهود لا يملـــون مـــن الصراخ بان ثمة بينهم أيضاً أناساً طيبين. أوه. يـــا إلـــهي! مـــن قـــال إن المشكلة تكمن في هذه النقطة!؟"

وها هو ذا يتقدم من أجل إزالة أي لبس ممكن حول أفكاره فـــي هـــذا الموضوع.. " أنا أقول وأكتب دائماً أنه يجب أن نعمل من أجل اليهود بكل ما تمليه العدالة والنزعة الإنسانية والقانون المسيحي[1] ". ثم يمضي أبعد من ذلك فيقول:

" لقد سبق أن صرحت بهذا وأعيد فأضيف أنني برغم كل التصـــورات والحقائق التي عرضتها أجدني أقف نهائياً إلى جانب توسيع نطـــاق حقـــوق

[1] – ترجم د. صباغ هذه الكلمات كما يلي: إنني تحديداً أتحدث وأكتب أنه يجب العمل على منح اليهود كل ما تتطلبه الاعتبارات الإنسانية والعدالة وكل ما يستوجبه القانون الإنساني والمسيحي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهود الكاملة[1] ". ثم إنه يفتح هذين القوسين.. " رغم أنهم في مناسبات أخرى يملكون حقوقاً أكبر، أو بعبارة أصح يملكون الإمكانات الحقيقية للاستفادة من هذه القوانين أكثر من السكان الأصليين..".

ويعود مرة ثانية إلى تأكيد مسألة حقوق اليهود الكاملة ، موضحاً الوجه الآخر للقضية، واضعاً يده على نقطة الضعف التي بلورتها الحركة الصهيونية في ما بعد، وراحت تنفذ من خلالها إلى قلوب البسطاء من اليهود. ذاك أن اليهودي النموذجي الذي كان اليهودي الصهيوني وريثه الحقيقي بعدئذ هو الذي يحول دون حصول اليهود على حقوقهم الكاملة:

"لا أرى أية موانع في توسيع نطاق الحقوق اليهودية مؤكداً في الوقت نفسه، أن هذه الموانع قائمة من جانب اليهود، أكثر منها من جانب الروس ، وإذا لم يتحقق ما يريده اليهود فإن ذنب الروسي في ذلك أقل بكثير من ذنب اليهودي نفسه.."

ثم ينهي دوستويفسكي دراسته التاريخية بهذه الكلمات:

" أنا أعرف أن ثمة أفراداً كثيرين من "الشعب" اليهودي، يتمتعون بروح إنساني، ويبحثون في تعطش لاستثنائهم من سوء الفهم هذا.. ولست أنا الذي يصمت من باب إخفاء الحقيقة[1] ".

---

[1] – يضيف د. صباغ : " في التشريعات الرسمية".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرة أخرى يلح على وجوب إعطاء حقوقهم الكاملة كغيرهم من المواطنين تماماً " بل إن ثمة إمكانية من الجانب الروسي لمزيد من

* * *

لقد ناقش دوستويفسكي المسألة اليهودية من خلال ثقافة العصر التي انتهى إليها، والتجارب الحيوية التي عاشها، والذهن المبدع الذي يتحلّى به، والإحساس بمسؤوليته في هذا الموضوع، كمواطن أوّلاً، وككاتب طليعي واعٍ ثانياً.

قد يقول أحدهم إنه عالج المسألة من منظور مسيحي. حسناً. ما المانع. هذا ما يؤمن به الكاتب الكبير، غير أنه لم يخرج به قيد أنملة عن التعاليم الأساسية للسيد المسيح، القائمة أصلاً على المحبة والتسامح والسلام: " **إنني أقف إلى جانب المساواة الكاملة والنهائية في الحقوق، ما دام ذلك هو قانون المسيح.. مبدأ المسيح**".

وإنما تتجلى أهمية هذه الدراسة، لا من حيث أنها قدمت رأي الكاتب الروسي الكبير في المسألة اليهودية فحسب، وهو في ذاته أمر ذو بال.. بل

---

[1] – في ترجمة د. صباغ جاء النص كالتالي: إنني أعرف أنه من الممكن حالياً أن نجد بين الشعب اليهودي العديد من الأشخاص الباحثين عن مواضع الخلل، والمتعطشين لإزالتها والتحلص منها. كما أن بينهم أناساً يحبون البشر، ولن أصمت أبداً عن ترديد ذلك حتى لا أخفي الحقيقة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من حيث أنها استطاعت أيضاً أن تسبق الحركة الصهيونية، فتحدد ملامحها الأساسية وأهدافها البعيدة، العدوانية، القائمة اصلاً على الأساطير الموهومة الكاذبة، والغطرسة الفارغة، والشعور المَرضيّ بالتفوق، والنزعة إلى كراهية الآخرين واحتقارهم.. والرغبة اللامتناهية في العنف والاغتصاب. **والأهم من هذا كله أن دوستويفسكي أراد في الوقت المناسب، أن يسمع العالم كله قرعه أجراس الإنذار من الخطر الصهيوني الداهم القائم، الذي كان يراه بكل وضوح وجلاء. ولولا أن الدوائر اليهودية الفوقية – الصهيونية في ما بعد – قد تلقفت هذه الدراسة، فأخفتها في الظلمات، وأبعدتها عن دوائر الضوء كلها.. معتمة عليها إلى أقصى درجة ممكنة، لكان لها شأن آخر.**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثالث

الماركسيـــة واليـــهود.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الماركسية واليهود.

أ – الماركسية والمسألة اليهودية

ب – الماركسي. . هل يكون صهيونياً!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الماركسية والمسألة اليهودية

عَرَفَتْ دراسة كارل ماركس [1] عن اليهود والمسألة اليهودية أكثر من ترجمة، فقد نقلها عن الفرنسية أولاً – وهي في الأصل مكتوبة بالألمانية – الكاتب اللبناني محمد عيتاني، فظهرت في كتيب من القطع الوسط عنوانه: "المسألة اليهودية". ثم نقلها مرة أخرى عن الفرنسية الكاتب السوري الراحل الياس مرقص، في إطار كتاب له حول موضوع المسألة اليهودية، فجاءت تحت العنوان ذاته. وهذا ما ينتقده الكاتب الفلسطيني حمزة برقاوي إذ يرى أن العنوان في الأصل الألماني هو "حول المسألة اليهودية". وقد ورد ذلك في مقدمة الكتيب الذي نشرته دار الأهالي بدمشق عام ١٩٨٩ تحت عنوان "حول المسألة اليهودية". وجاء أيضاً قوله". . وعندما عهدت إلي دار الأهالي بمراجعة النص عن اللغة الألمانية ، واجهت نصاً معقداً شائكاً، فقمت بالاعتماد على ترجمة الأستاذ عيتاني كأساس، ومستأنساً بترجمة الأستاذ

[1] – KARL MARX فيلسوف اجتماعي ألماني، صاحب نظرية الاشتراكية العلمية. أهم مؤلفاته: رأس المال "Das Kapital: ١٨٦٧– ١٨٩٥"

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرقص، ومعيداً الترجمة عن النص الألماني بصورة شبه حرفية تقريباً، محاولاً الابتعاد عن التصرف الذي كان يمكن أن يجعل النص أكثر سلاسة".. أما أنا فإني سأنظر في الكتيبين الأول والأخير، ولا سيما الأول الذي ترجمه الأستاذ عيتاني.

الكتيب في الأصل هو مناقشة دراستين حول المسألة اليهودية عام ١٨٤٣ وضعهما برونو باور Bruno Bauer . عنوان الأولى: المسألة اليهودية. أما الثانية فعنوانها: قدرة اليهود والمسيحيين المعاصرين على التحرر.

يقول ماركس: يطالب اليهود الألمان بالتحرر، فبأي تحرر يطالبون ؟ التحرر بوصفهم مواطنين ، أم التحرر السياسي؟ ! ثم ينقل إجابة برونو باور في مقالته "المسألة اليهودية" التي نشرت في "برونشفايغ "عام ١٨٤٣:" **في ألمانيا، ليس ثمة إنسان متحرر سياسياً. ونحن أنفسنا لسنا أحراراً. فكيف نستطيع تحريركم؟! وإنكم معشر اليهود، لأنانيون، حين تطالبون لأنفسكم بسبب من أنكم يهود، بانعتاق خاص، فعليكم أن تعملوا بوصفكم ألمانيين على الانعتاق السياسي لألمانيا، وبوصفكم بشراً، على الانعتاق البشري".**[١]

وفي الوقت الذي يلفت فيه باور النظر إلى أن "اليهودي يملك في ذاته امتياز كونه يهودياً، وأن له من حيث هو يهودي، حقوقاً ليست للمسيحيين" فإنه يضع يده على جانب آخر من "الأنانية" في نفسية اليهودي، هو هذا الذي

[١] – المسألة اليهودية – كارل ماركس – دار مكتبة الجيل – بيروت – بدون تاريخ – ترجمة: محمد عيتاني ص٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتناول المسألة القومية،" فاليهودي لا يستطيع من جهته أن يقف من الدولة إلا موقف اليهودي، يعني موقف الغريب، فهو يعارض القومية الحقيقية بقوميته الوهمية، والقانون الحقيقي بقانونه الخيالي. إنه يظن أن من حقه الانفصال عن سائر البشرية ، وهو لا يشارك مبدئياً في الحركة التاريخية. إنه يطمح إلى مستقبل ليس بينه وبين المستقبل العام للإنسان، أي سمة مشتركة. وهو يعتبر نفسه بمثابة عضو من الشعب اليهودي ، ويرى أن الشعب اليهودي هو الشعب المختار[1] ".–م .**عيتاني.**

وهكذا يضع ماركس أمامنا، منذ السطور الأولى، موقف اليهودي المتعصب والعنصري ، مؤكداً على عقدة اليهودي الذي لا يستطيع الانفصال عن يهوديته. ثم يتجاوز باور، ويذهب أبعد منه، إلى القول: " ونحن لا نقول إذاً مع باور ، أو: بوير – حسب الترجمة الفرنسية للاسم bauer – لليهود: إنكم لن تستطيعوا الانعتاق سياسياً، دون أن تتحرروا من اليهودية جذرياً، بل نقول لهم: إنما بسبب أنكم لا تستطيعون أن تتحرروا سياسياً دون أن تنفصلوا انفصالاً[2] كاملاً مطلقاً من اليهودية، يكون التحرر السياسي نفسه، ليس هو التحرر الإنساني ". – م.ع.

---

[1] – المصدر نفسه – ص٧

[2] – المصدر السابق – ص٣٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن ماركس في معرض مناقشته "حقوق الإنسان" مع الإنسان الذي يستطيع "رغم كونه يهودياً أن يتحرر سياسياً، وينال حقوقاً وطنية" يقر رأي باور في أن "اليهودي الذي يقر بأنه مرغم بسبب جوهره الحقيقي على أن يعيش أبداً منفصلاً عن الآخرين" لا يصلح لتلقي حقوق الإنسان العامة ومنحها لسواه.

إن اليهودي بإصراره على عزلته والانفصال عن الآخرين، لا يستطيع أن يمتلك هذه الحقوق "**فإنه ما بقي يهودياً، فالجوهر المحدود الذي يجعل منه يهودياً، سوف يتغلب بالضرورة على الجوهر الإنساني الذي كان ينبغي أن يربطه، بوصفه إنساناً، بسائر الناس**". ويستطرد ماركس ناقلاً عن باور: " وهو – أي جوهر اليهودي المحدود – يعزله عمن ليس يهودياً. وهو – اليهودي – يعلن بهذا الانفصال، أن الجوهر الخاص الذي يجعل منه يهودياً، هو جوهره الحقيقي الأسمى الذي ينبغي أن يمحي أمامه جوهر الإنسان [1]". – م.ع.

.. مهما يكن من أمر، فلنتساءل الآن: عمن هو اليهودي؟

يقول ماركس: " ولنفحص اليهودي الواقعي، وليس يهودي السبت، كما يفعل باور، بل اليهودي العادي [2]".

---

[1] – المصدر نفسه – ص ٣٨

[2] – المصدر نفسه – ص ٥٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا يطرح ماركس موضوعته الهامة: يجب ألا نبحث عن سر اليهودي في دينه. بل، فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي. أي إنه يرى أن اليهودي سيظل موجوداً: "اليهودية الواقعية والعملية" ما بقيت "المتاجرة". وحين يتحرر العالم من المتاجرة أي: اليهودية الواقعية، فإنه يحرر نفسه أيضاً. يقول ماركس:

" ما هو الأساس الدنيوي لليهودية؟ المصلحة العملية، والمنفعة الشخصية، إذاً، فالعهد الحاضر بتحرره من المتاجرة والمال، وبالتالي: من اليهودية الواقعية والعملية، إنما يحرر نفسه أيضاً"[1].

ويربط ماركس بين تطور التنظيم الاجتماعي ورقيّة – هو يعني طبعاً المجتمع الاشتراكي – وبين التحرر الحقيقي لليهودي من " اليهودية " أيضاً. ذاك أنه يرى أن " التنظيم الاجتماعي الذي يلغي الشروط الضرورية للمتاجرة، ويلغي بالتالي المتاجرة، سيجعل وجود اليهودي مستحيلاً. والضمير الديني لليهودي سوف يتلاشى مثل بخار تافه، في جو المجتمع الحقيقي[2]".

ويرى ماركس في اليهودية عنصراً معادياً للمجتمع، أدى دوره السيئ خلال التاريخ اليهودي، وهو يقول صراحة : " إذاً، فنحن نقر أن ثمة في اليهودية عنصراً عاماً وحالياً مناهضاً للمجتمع، وهو عنصر دفع، بالتطور

---

[1] – المصدر نفسه – ص ٥٤

[2] – المصدر السابق – ص٥٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاريخي الذي ساهم فيه اليهود من هذه الوجهة السيئة، مساهمة نشيطة، إلى نقطة الأوج في الحاضر، إلى ارتفاع لا يستطيع معه إلا الانحلال [1]".

-م.ع

وفي الآن الذي يعود فيه ماركس إلى التأكيد من جديد بأن " التحرر اليهودي، في معناه الأخير، يقوم في تحرير الإنسانية من اليهودية " فإنه يشير إلى أن اليهودي، لم يستطع أن يفهم هذا التحرر – أو التحرير – إلا على طريقته.. الطريقة اليهودية. ويقدم مباشرة المثال التالي: "فاليهودي" مثلاً، الذي لا يحسب له حساب في " فيينا " هو الذي يقرر بقوته المالية، مصير المملكة كلها. إن اليهودي الذي قد يكون في أصغر الدول الألمانية – **هذا الكلام كان قبل توحيد ألمانيا** – محروماً من الحقوق، هو الذي يقرر مصير أوروبا[2]" – م.ع

لقد تحرر اليهودي إذاً.. ولكن على طريقته، أي أنه امتلك القدرة على استعباد الآخرين، وفي الوقت نفسه، فرض على الآخرين أسلوبه في التعامل وطريقته في التفكير، فاصبحوا هم أيضاً يهوداً، من حيث النتيجة "فاليهودي تحرر على الطريقة اليهودية، ليس فقط بأن أصبح سيد السوق المالية، وإنما لأن المال، أصبح بواسطته وبفضله،قوة عالمية. والروح

---

[1] – المصدر نفسه – ص ٥٥

[2] – المصدر نفسه – ص ٥٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العملية لليهودية، أصبحت الروح العملية للشعوب المسيحية. لقد تحرر اليهود بالنسبة نفسها التي أصبح المسيحيون فيها يهوداً ".

وهكذا فإن هؤلاء، حين حذوا حذو اليهود في استعباد الآخرين بقوة المال، أمسوا يهوداً.. " **إن فلاناً الذي تراه على رأس رهبانية محترمة، بدأ حياته تاجراً، وحين أخفق في التجارة، أصبح كاهناً. وذلك الآخر، بدأ حياته في الكهنوت، ولكن منذ أن أصبح يملك مبلغاً معيناً من المال، ترك كرسي الوعظ، وانصرف إلى التجارة**[1] "**.م.ع**

ويرفض ماركس الأطروحة التي عرضها باور حين رأى أن اليهودي محروم نظرياً من الحقوق السياسية، فهو مادام يحتاز قوة رأس المال ، فإن السياسة – بما فيها حقوقه السياسية – هي تحت تصرفه تماماً، لأن " التناقض القائم بين قوة اليهودي السياسية الواقعية، وبين حقوقه السياسية، إنما هو التناقض القائم بين السياسة، وبين قوة المال. فالسياسة هي نظرياً فوق قوة المال، ولكنها عملياً أصبحت تابعة لها بصورة مطلقة "[2]**ح.ب**

وإذا كان أساس الدين اليهودي في ذاته، هو المنفعة العملية، الأنانية، فإن "المال هو إله إسرائيل المطماع. إن المال يخفض جميع آلهة البشر، ويحولها إلى سلعة. المال هو القيمة العامة، والمكّونة في ذاتها لجميع

---

[1] – المصدر السابق – ص ٥٧

[2] – كارل ماركس – حول المسألة اليهودية – ترجمة ومراجعة: حمزة برقاوي – دار الأهالي– ص ٥٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأشياء". "لقد أصبح إله اليهود إلهاً دنيوياً، وغدا إله الناس. السفتجة*، هذا هو الإله الحقيقي لليهودي، فإلهه ليس إلا سفتجة وهمية[1]"–م.ع.

.. في مثل هذا العالم تتحول الكائنات جميعاً إلى أشياء تشترى وتمتلك. و هنا يستشهد ماركس بقول توماس مونزر في " أنه أصبح لا يطاق كون كل مخلوق، قد تحول إلى ملكية: السمك في الماء، والطير في الهواء، والنبات على الغبراء[2] ".

إن هذه النظرة "الواقعية" اليهودية في جوهرها، إلى الكون والأشياء، تجعل الإنسان وأشياءه الجميلة مزدراة:" **إن ما يتضمنه الدين اليهودي في شكل مجرد: ازدراء النظرية والفن والتاريخ والإنسان المعتبر غاية في ذاته، إنما هو وجهة النظر الواقعية الواعية. فضيلة رجل المال. حتى العلاقات بين الرجل والمرأة تصبح موضوعاً للتجارة، فالمرأة تصبح سلعة يتاجرون بها**[3]". –م.ع

وينتهي ماركس من ذلك إلى تعرية أكذوبة القانون اليهودي، والتأكيد على خواء العقيدة والأخلاق اليهودية. فإن " قانون اليهودي الذي لا أساس له ولا أرضية، ليس إلا الصورة الكاريكاتورية الدينية للأخلاق والحقوق

---

* – السفتجة كلمة فارسية معناها سند تحويل بشيك مالي.

[1] – المسألة اليهودية – ترجمة: م. عيتاني – ص ٥٨

[2] و٣– المصدر السابق – ص ٥٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي لا أساس لها ولا أرضية . هي الطقوس الشكلية الصرف التي يحيط عالم الأنانية نفسه بها[1] -ح.ب

ويقدم كارل ماركس تفسيراً سابقاً للصهيونية المسيحية. بلى، لقد انبثقت المسيحية – تاريخياً – من اليهودية، لكنها عادت إليها. ويقول في هذا المجال:

" لا تبلغ اليهودية ذروتها إلا مع اكتمال المجتمع البورجوازي، ولكن المجتمع البورجوازي لا يبلغ اكتماله إلا في العالم المسيحي. ولم يكن المجتمع البورجوازي ليستطيع التوصل إلى الانفصال التام عن مجرى الدولة، وتمزيق جميع الروابط الاجتماعية للإنسان وإحلال الأنانية ، والحاجة إلى المنفعة الشخصية محلها، وتفكيك العالم البشري إلى عالم أفراد " ذرّات" يعادي بعضهم بعضاً.. لم يكن المجتمع البورجوازي ليستطيع ذلك إلا في ظل المسيحية التي تستبعد جميع علاقات الإنسان القومية والطبيعية والأخلاقية والنظرية: لقد انبثقت المسيحية من اليهودية، وانتهى بها الأمر إلى العودة إلى اليهودية. كان المسيحي، من حيث التعريف هو اليهودي الميال إلى المثالية. واليهودي هو بالتالي، المسيحي العملي، والمسيحي العملي، عاد من جديد فأصبح يهودياً[2] ".-م.ع

---

[1] – حول المسألة اليهودية – ح. برقاوي – ص ٥٧

[2] – المسألة اليهودية – م. عيتاني – ص ٦١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن خلال هذا الفهم للعلاقة بين المسيحية البورجوازية، وبين اليهودية العملية يضع ماركس يده، على تفسير آخر للصهيونية المسيحية – بالمعنى العملي البراغماتي هنا – واصلاً في الآن ذاته، إلى إحدى نظرياته التي أوضحها في "رأس المال " عنيت: الانخلاع، أو الانسحاق، أو الضياع، أو الاغتراب، أي أحد هذه المعاني المتعددة التي ترجمت إليها كلمة Alienation – بالألمانية VERAUSERUNG.

يقول ماركس: المسيحية هي الفكر السامي لليهودية. واليهودية هي التطبيق العادي للمسيحية. ولكن هذا التطبيق لم يكن يستطيع أن يصبح عاماً، إلا حين توصلت المسيحية، نظرياً على الأقل، من حيث هي دين كامل إلى أن تجعل الإنسان غريباً عن نفسه وعن الطبيعة ": Alienated

ثم يستطرد قائلاً:

"وعندئذ وحسب استطاعت اليهودية التوصل إلى السيطرة العامة، وإبعاد الإنسان والطبيعة إلى خارج ذاتيهما، وجعلت منهما شيئاً تجارياً خاضعاً للحاجة الأنانية والمتاجرة[1] ". – م.ع

يتجاوز الأمر إذاً ، موضوع " الانخلاع " – اغتراب الإنسان عن نفسه وعن الطبيعة، إلى وضع ليس أقل رداءة: تشييء الإنسان: جعله شيئاً تجارياً،

[1] – المصدر السابق – ص٦٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاضعاً لمختلف المقتضيات التجارية. هذا ما أفضت إليه اليهودية حين استطاعت التوصل إلى السيطرة العامة.

يستخدم ماركس وهو يقترب من ختام دراسته مصطلح "صلابة اليهودي". لعله يعني تقوقع اليهودي على ذاته وانغلاقه وتعصبه ضد الآخرين: " الغوييم ". إنه يرفض البحث عن سر هذه الصلابة في دينه. ينبغي البحث في " الأساس البشري" لدينه وهو الحاجة العملية، الأنانية، تماماً مثلما قال في مستهل هذا الفصل: " يجب ألا نبحث عن سر اليهودي في دينه، بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي" . واليهودية الواقعية هي الحاجة العملية. المتاجرة. الأنانية.

أخيراً، فإن ماركس يذهب بعيداً في رؤيته جوهر اليهودي – الديني، وقد أصبح دنيوياً وانسحب على المجتمع البورجوازي. وهكذا فإننا **"لا نجد جوهر اليهودي المعاصر – إذاً – في التوراة والتلمود فحسب ، بل نجده في المجتمع الحالي.وليس هو جوهراً مجرداً، بل هو جوهر عملي مطلق. وليس هو بمثابة حدود اجتماعية لليهودي، وإنما بمثابة حدود يهودية للمجتمع**[1] " – م.ع. أي إن اليهودي استطاع " تهويد " المجتمع البورجوازي.

وما دام وجود اليهودي مرتبطاً بالجوهر العملي لليهودية: المتاجرة وشروطها، فإن نجاح المجتمع في إلغاء هذا الجوهر – يريد ماركس: سلطة

---

[1] – المصدر نفسه – ص٦٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأس المال – يعني بالتالي أن وجود اليهودي أصبح مستحيلاً، وبعبارة ماركس فإن "التحرر الاجتماعي لليهودي إنما هو تحرير المجتمع من اليهودية [1]".

[1] – المصدر السابق – ص٦٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الماركسي.. هل يكون صهيونياً

بين الأعمال التي تركها الكاتب السوري الراحل نجاة قصاب حسن، كتاب أهداني نسخة منه عنوانه "من هو اليهودي" وقد كتب على غلاف هذا الكتاب الذي ترجمه عن الفرنسية أن مؤلفه هو اليهودي "الماركسي" اسحق دويتشر.

وكنت أعرف أن هذا الكاتب هو يهودي بولوني، كان عضواً في الحزب الشيوعي البولوني بين سنتي ١٩٢٧ و ١٩٣٢ ذاك أنه طرد من الحزب بعد خمس سنوات من انتسابه إليه.

وقد عرفت دويتشر في الأصل " ١٩٠٧- ١٩٦٧ " من خلال كتابه المشهور الذي ترجم إلى أكثر من اثنتي عشرة لغة بينها العربية بعنوان:"ستالين. سيرة سياسية ".

ويذكر الأستاذ قصاب حسن في المقدمة التي وضعها للكتاب أنه "مختارات مما كتبه دويتشر نشرتها بعد وفاته قريبة له هي تمارا دويتشر".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويوضح أن ما دفعه إلى ترجمة هذا الكتاب أنه "يحمل وجهة نظر في القضية اليهودية، مهما يكن موقفنا منها فإنها جديرة بأن تقرأ " وذلك من أجل "إطلاع القارئ العربي على وجهة نظر في القضية اليهودية، كتبها يهودي معاصر، لا هو صهيوني، ولا هو نجا من الانحياز للحركة الصهيونية في بعض المواقف [1]".

وعلى الرغم من صعوبة التمييز عندي بين اليهودي المؤمن بالتوراة والتلمود، وبين الصهيوني، وعلى الرغم من قناعتي بان الشخص لا يمكن أن يكون صهيونياً في بعض المواقف ولا صهيونياً في مواقف أخرى، فهو صهيوني أو غير صهيوني فحسب، فإنني أود أن أتساءل من جانب آخر هل في المستطاع أن يكون المرء ماركسياً ويهودياً، وصهيونياً في بعض المواقف؟

ذاك هو مضمون السؤال الذي نهض في نفسي، وأنا أقلب صفحات هذا الكتاب.

لا بأس، على كل حال في أن ننظر قليلاً في طفولة دويتشر، في مقتطف آخر من مقدمة الكتاب، فهو "من الجيل المخضرم الذي عرف في صغره تربية دينية كانت تؤهله ليكون رجل دين، ربانياً "حاخاماً" للمؤمنين بالمذهب الحسّيدي من اليهود، ثم انتقل من هذا الموقف، إلى موقف ملحد

[1] – من هو اليهودي – دار العروبة للطباعة – بدون تاريخ – المقدمة – ص ٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطيع الحديث عن اليهودية بأقل ما يمكن من التأثر بتقاليدها الراسخة. وكان في حدوده ومقاييسه واحداً من أولئك اليهود اللايهود، الذين وصفهم هو نفسه، بأنهم وقفوا على مصلَّبة الحضارات والثقافات واللغات والأديان ، ونالوا شهرتهم لهذا السبب بالذات[1]". وهو يعني بالطبع أمثال سبينوزا، وهايني وفرويد وتروتسكي وروزا لوكسمبورغ.

لننظر إذاً، في شأن هذا اليهودي "الماركسي" أولاً، واليهودي – اللايهودي ثانياً، واليهودي المنحاز في بعض المواقف إلى جانب الصهيونية ثالثاً، واليهودي الواقف على مصلَّبة – أو: تقاطع– الحضارات والثقافات والأديان واللغات رابعاً.

لقد بدأ دويتشر فعاليته الثقافية بكتابة الشعر، كما تقول تمارا دويتشر كاتبة سيرته. وكان في هذه الأشعار، يقدم في صياغة جميلة موضوعات مستعارة من تاريخ اليهود " وكان يمزج الرومانسية البولونية بالفولكلور الشاعري اليهودي، ليقيم جسراً يصل بين الثقافة البولونية وبين ثقافة اليديش[2]" ثم هجر الشعر وانصرف إلى النقد الأدبي ودراسة الفلسفة والاقتصاد. وبعد أربع سنوات من انتسابه للحزب الشيوعي البولوني عام ١٩٢٧، قام برحلة

---

[1] – من هو اليهودي – المقدمة ص ١١

[2] – اليديش: هي لغة يهود شرق أوروبا خاصة. يتكلم بها أيضاً بعض يهود الولايات المتحدة الأمريكية، وبينهم ايزاك باشيفيز سنجر الذي نال جائزة نوبل عام ١٩٧٨. وهي خليط من العبرية والألمانية القديمة، وبعض المفردات السلافية، إضافة إلى مفردات محلّية أخرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبيرة إلى الاتحاد السوفييتي، في الوقت الذي كانت فيه الدولة الوليدة تعاني من صعوبات كثيرة.. بعد الحرب الأهلية الضارية التي عاشتها.

في هذه الأثناء بدأ التعارض بين أفكار دويتشر وبين ما يقول به الشيوعيون في بلاده، وأدى ذلك إلى طرده من حزبهم عام ١٩٣٢.[١]

لا يرى دويتشر في حديثه عمن هو اليهودي شيئاً مشتركاً بينه وبين يهود الـ "مياشاريم" مثلاً، أو بينه وبين أي جماعة أخرى من القوميين الإسرائيليين، لكنه يتعاطف "مع اليسار الماركسي في إسرائيل". وفي الآن ذاته يرفض أن يكون "العِرْق" هو ما يصنع اليهودي، فما الذي يصنعه إذاً؟ يستطرد قائلاً:

"الدين؟ أنا ملحد. القومية اليهودية؟ أنا مؤمن بالأممية. ولذلك فأنا لست يهودياً في أي من المعنيين. ومع ذلك، فأنا يهودي بفعل تضامني غير المشروط مع الناس الذين يُطارَدون ويبادون. أنا يهودي لأنني أحس أن الفاجعة اليهودية هي فاجعتي الشخصية، لأنني أحسُّ تحت أصابعي نبض التاريخ اليهودي، لأنني أريد أن اصنع كل ما في وسعي لأوفر لليهود أماناً واحتراماً للذات أصيلين لا مزيَّفين"[٢].

---

[١] – من هو اليهودي – ص ١٣

[٢] – المصدر السابق – ص ٨٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا إذاً، هو اعتراف مبدئي، نلاحظه بادئ ذي بدء.. لدى دويتشـــر.. على أن دويتشر، في دفاعه عن اليهودي " اليهودي " يمضي أبعد من هـــذا، فيدافع عن جريمة قتل يهودية بدافع ديني، تشبه تماماً الجريمة اليهودية التـــي وقعت في دمشق، وكان ضحيتها الراهب المسيحي توما الكبوشي " لمزج دمه بخبز الفصح " عام ١٨٤٠

الجريمة التي يشير إليها دويتشر، وقعت عام ١٩١٢، ودارت حولـــها في "كييف" بأوكرانيا محاكمة، عرفت الجريمة فيها باسم "بايليس " ويوضـــح أن موضوعها كان جريمة قتل بدافع ديني " إنه يكتفي في تعليقه على هـــذه الجريمة بكلمتي: "قيل" و "اتُهِم": " قيل إن يهودياً هو بايليس اتهم بقتل طفـــل مسيحي ليمزج دمه بخبز الفصح [1]".

ويمضي دويتشر وهو يصف المجرم بأنه ضحية قائلاً:" وانقض علـــى الضحية رجال "المئة السود" وهم جماعات من الرجعيين والشانين، وانقـــض معهم الروم الأرثوذكس الذين أثارتهم القيصرية " ثم ينتهي إلى الحديث عـــن "اللاسامية " في روسيا، مقارناً بينها وبين اللاسامية في أوروبا ، من خـــلال مسألة اليهودي الفرنسي "دريفوس " الذي اتهم بالخيانة العظمى، والاتصـــال بالعدو الألماني، وهو ضابط في الجيش الفرنسي عام ١٨٩٨.

---

[1] – المصدر نفسه – ص١٠١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع أن دويتشر يستطيع التمييز جيداً بين أوروبا والأمم الأوروبية وبين النظام النازي في ألمانيا، فإنه يحّمل أوروبا مسؤولية ما فعله هتلر باليهود – ساخراً من الأمم الأوروبية "المتمدنة" التي لم يخطر ببال "اليهود غير المؤمنين" أنها "يمكن أن تنحط في القرن العشرين إلى هاوية من البربرية، عميقة إلى حد يجعل كلمة التضامن الإنساني، ترن في الآذان اليهودية كشتيمة وسخرية [1]".

ويردد دويتشر الأكذوبة نفسها التي حوكم المفكر الفرنسي روجيه غارودي لأنه دحضها وفنّدها – عنيت أكذوبة "الملايين الستة" من يهود أوروبا الذين يقول دويتشر إنهم ذبحوا على يد النازيين . ولست أرمي بالطبع إلى نفي الوقائع التي قتل في اثنائها هؤلاء الناس، فأنا اريد أن أشير فحسب إلى المبالغة في تعداد الضحايا .. فهم في حدود مليوني إنسان، كما يقدر بعض مؤرخي اليهود أنفسهم، مما ذكره غارودي في دفوعه.

إن دويتشر في حماسته في الدفاع عن " اليهود " لا يتوقف عند شتم الأوروبيين الذين " لم يترك مصير اليهود الأوروبيين إلا القليل من الأثر [2]" عليهم، بل يعود إلى النغمة القديمة في حكاية اليهودي " فما هو فاجع أكثر من غيره في الوضع اليهودي هو أن الجماهير في أوروبا تعودت، نتيجة

---

[1] – المصدر السابق– ص ٦٤

[2] – المصدر نفسه – ص ٦٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تطور تاريخي طويل ، على أن تنظر إلى اليهودي من جهة، وإلى التجـــارة والمضاربة والربا والربح من جهة أخرى، على أنهم شيء واحد [1]" . كـــأن اليهودي في أوروبا خاصة توقف عن ممارسة حرفته التاريخية في التجارة والمضاربة والربا والربح!

وفي تضليل فكري واضـــح Demagogy يـــبرر أولاً انعزاليـــة اليـــهود الأوروبيين الذين " بقوا كجماعة منفصلة ، أي كونهم يمثلون اقتصاداً تجارياً في وسط أناس يعيشون في نطاق اقتصاد طبيعي " ويأسف – نيابة عن اليهود – لأن " تكون الأمم الأوروبية وهي تتخذ موقفاً ضد الرأسمالية، لم تفعل ذلك إلا بصورة بالغة السطحية، خاصة في النصف الأول من هذا القرن[2]".

ويتابع هذا الخط التضليلي حين يرى أن الأمم الأوروبيـــة – وليســت طبقات معينة منها – " لم تهاجم ما يشكل نواة الرأسمالية، أي علاقات الإنتاج ونظام الملكية والعمل، وإنما هاجمت مظهرها الخارجي والعتيق جداً، وكـــان يهودياً في الواقع والغالب. ههنا عقدة الفاجعة اليهودية[3] ".

لقد لاحظ دويتشر نفسه تناقضه وذاته – فيما هو يحاول الفصل بيـــن اليهود الرأسماليين، وبين نواة الرأسمالية، فإذا هو يعتمد التضليل من جديـــد،

---

[1] – هكذا وردت الكلمة. والصواب: على أنها – المصدر السابق– ص ٦٦

[2] – المصدر نفسه – ص ٦٧

[3] – المصدر نفسه – ص ٦٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويستعير من علم النفس مفهوم "العقدة" ليبرر به هذا التناقض: عقدة الفاجعة اليهودية.

ودون أي ترابط موضوعي بين ما تقدم، وبين النتيجة التي انتهى إليها، يقول: " كل هذا قاد اليهود إلى أن يروا في إيجاد دولتهم الخاصة بهم المخرج الوحيد المحتمل[1] "

إذاً، فإنه يدافع أيضاً عن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، دون أن يذكر كلمة واحدة "كماركسي .. على الأقل " عن الصهيونية وارتباطها بالرأسمال العالمي عامة، اليهودي – الصهيوني خاصة في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا.

وفي هذا السياق يندفع نحو الوقوع في تناقض آخر. إنه يشيد بالعدمية القومية " في عصر تصغّر فيه الطاقة الذرية مقاييس العالم بصورة مستمرة، وبدأ العالم فيه رحلته بين الكواكب، ويكفي فيه دقيقة على الأكثر، بل بضع ثوانٍ على الأكثر، ليمر قمر صناعي فوق بلاد واسعة، أليس واضحاً أن التكنولوجيا في مثل هذا العصر تجعل وجود الدولة – الأمة مَضْحَكَة وشيئاً بالي الطراز، كما كان شأن الإمارات الصغيرة الأوروبية في القرون الوسطى في عهد الآلة البخارية " ويرى أن الدولة الناشئة – بعد تحررها من الاستعمار – تشكل "مرحلة" لا غنى عنها في تاريخ بعض الشعوب، ولكنها

---

[1] – المصدر السابق – ص ٦٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرحلة، وعلى هذه الشعوب أن تتجاوزها لتعطي لوجودها إطاراً أوسع. مع ذلك فإن شأن دولة إسرائيل مختلف في هذا المجال. لماذا؟

"لأن العالم أجبر اليهودي على اعتناق مبدأ الدولة – الأمة، وأن يجعلها أمله وفخره ، في الوقت عينه الذي لم يعد يجد فيه أبداً، أو تقريباً بذرة الأمل. وليس اليهود هم الذين يجب أن يلاموا على ذلك ، ولكن العالم هو الذي يجب أن يحمل الملامة"[1].

.. بماذا يختلف حديث اسحق دويتشر هذا، عما كان يقوله بن غوريون أو غولدا مئير أو مناحيم بيغن.. أو هرتزل نفسه؟

ويستشهد دويتشر بكلمة لا لبس فيها ولا غموض – ذكرها الفيلسوف اليهودي الهولاندي سبينوزا[2] إذ قال متحدثاً عن اليهود "إنهم قد استجروا كراهية العالم بأسره، بانفصالهم عن جميع الشعوب الأخرى".

ثم لا يجد حرجاً في العودة إلى التأكيد مرة أخرى أنه "لو لم تكن اللاسامية قد ظهرت راسخة الجذور، شديدة الاستمرار، عظيمة القوة في الحضارة المسيحية في أوروبا، لما كان اليهود قد ظلوا موجودين كجماعة متميزة، ولكانوا ذابوا في غيرهم تماماً".

---

[1] –المصدر السابق – ص ٦٩

[2] – باروخ سبينوزا ١٦٣٢–١٦٧٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن أكثر من ثلاثة قرون تفصل بين ما قاله سبينوزا، مؤكداً مسؤولية اليهود أنفسهم عن "انفصالهم عن جميع الشعوب الأخرى" وبين ما يقوله دويتشر عاكساً به الواقع تماماً.. فإذا كان في القرن السابع عشر "لاسامية" ضد اليهود، فلماذا اعتبر سبينوزا[1] أنهم هم المسؤولون عن الانفصال إن لم يكونوا هم بالفعل المسؤولين عن ذلك؟ وفي هذه الحال يبقى كلام دويتشر مغالطة .. ودون معنى.

ومع أن موقف كارل ماركس كان واضحاً من اليهود، وخاصة في كتابه "المسألة اليهودية" إذ رأى دويتشر أن إله اليهودي الحقيقي هو المال، فإن دويتشر – مادام يرى أنه ماركسي – لجأ إلى نوع من المداهنة والتضليل والتلاعب بالحقائق، أكثر منه تلاعباً بالكلمات، فهو يكتب " أن ما جعل ماركس يقول إن إله اليهود الحقيقي هو المال ليس روحاً شريرة من "المسحوماد"، فلا ينبغي أن نرى في هذه الجملة إدانة معنوية لليهودي، إنما هي تأكيد مؤسَّس على الوقائع، يتناول وظيفته الخاصة في المجتمع المسيحي. وكان ماركس يعلن بعد ذلك أن المجتمع المسيحي، بمقدار ما كان يصبح رأسمالياً أكثر فأكثر، فهو يصبح يهودياً أكثر فأكثر[2]".

---

[1] – المصدر نفسه – ص٧٧

[2] – المصدر السابق – ص٧٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألا يبدو التناقض بيّناً أكيداً في كلام دويتشر ؟ إن ماركس لم يربط بين اليهودي وبين عبادته المال فحسب، بل توقف ملياً عند مايمكن أن نسميه: مسألة الممارسة. وهذا ما عناه عندما قال "يجب ألا نبحث عن سر اليهودي في دينه، بل.. عن سر الدين في اليهودي الواقعي".

ويقدم دويتشر برهاناً مدهشاً، على احتفاظ اليهودي بيهوديته في مختلف الأحوال الفكرية التي يمكن أن يمر بها. حتى "الهرطيقي" اليهودي الذي يجدف، ويظهر أنه حاد عن سبيل الديانة اليهودية.. يظل يهودياً، فهو يقول:

"إن الهرطيقي اليهودي الذي يجاوز اليهودية جزء من تقليد يهودي. يمكن إذا أردتم أن تعتبروا الـ "آخر "كنموذج لهؤلاء الثوريين الكبار في الفكر الحديث: سبينوزا وهايني وماركس وروزا لوكسمبورغ وتروتسكي وفرويد، ويمكن لمن يشاء أن يضع هؤلاء الآخرين في قلب تقليد يهودي[1]".

وبعد أن يتساءل إن كان الأثر الذي تركوه في الفكر الإنساني بسبب "عبقريتهم اليهودية الخاصة"، ينفي اعتقاده "بذكاء ينفرد به عرق مهما كان" ثم يستطرد قائلاً:

"ومع ذلك فإنني أرى من بعض وجهات النظر أنهم كانوا بالفعل يهوداً جداً "

فما هو بعض وجهات النظر هذه؟

---

[1] – المصدر نفسه – ص ٤٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يواصل دويتشر حديثه عن هؤلاء الرجال قائلاً: " لقد عاشوا على الحدود أو في الأحياء اليهودية "الغيتو" في قومية كل منهم. وكان كل واحد منهم، في الآن نفسه، ضمن محيطه، وخارجه، عضواً في وسطه، وغريباً عنه"[1].

ولست أدري تماماً، ما إذا كان حديثه هذا عن عقدة اغتراب اليهودي التاريخية ALIENATION ، قد جاء عفوياً أو مقصوداً. إلا أنه بعد سطور قليلة، يكرس واحداً من اولئك اليهود "غير اليهود" يهودياً خالصاً، هو سبينوزا كما جاء في شهادة مؤرخ انكليزي بروتستانتي كتب سيرة سبينوزا ، فقد قال: "لا يمكن إلا ليهودي أن يثير في فلسفة زمانه مثل هذه الزعزعة"[2]. إذاً، فإن عبقريته الفلسفية ترجع إلى كونه يهودياً قبل أي اعتبار آخر، كما يرى دويتشر.

وربما كان في حديثه عن الازدواجية الدينية التي عاشها أجداد سبينوزا، ما يساعدنا في إلقاء ضوء آخر على نفسية اليهودي. يقول دويتشر:

"كان أجداده – سبينوزا – قبل وصولهم إلى البلاد الواطئة، من "المرّان" وهم يهود متخفون، يهود القلب، ومسيحيون في الظاهر، كالكثير

---

[1] – المصدر السابق – ص ٥٠

[2] – المصدر نفسه – ص٥١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أبناء دينهم الإسبانيين الذين فرض عهد التفتيش عليهم المعمودية. وما إن أقاموا في هولندا حتى عادوا إلى اليهودية[1] ".

ويستعرض دويتشر سمات عامة مشتركة بين أولئك المفكرين اليهود "غير اليهود" كإيمانهم بالحتمية فقد كانوا" جميعهم يؤكدون أن العالم تقوده قوانينه النابعة منه، ولم يكونوا يرون في الواقع مجرد تشابك من الحوادث، ولم يعتقدوا أن التاريخ تصنعه أهواء الحكام ونزواتهم " ففرويد على سبيل المثال يقول: "ليس هناك شيء عارض في أحلامنا وشطحات جنوننا"[2].الخ..

من هذه السمات أيضاً أن أولئك المفكرين كانت " طريقتهم في التفكير جدلية Dialectical" بدت لهم الحقيقة متحركة لا ساكنة[3] " وكانوا يؤمنون " أن المعرفة لكي تكون واقعية يجب أن تكون فعالة[4] " ومن هنا استنتج دويتشر قاسماً مشتركاً بين سبينوزا و ماركس، هو محصلة الأطروحة السابقة:

"كان سبينوزا هو الذي قال: أن تكون معناه أن تعمل، وان تعلم معناه أن تعمل، وليس هناك سوى خطوة واحدة بين هذا القول وجملة ماركس

---

[1] – المصدر نفسه – ص ٥١

[2] – المصدر نفسه – ص٦١

[3] – المصدر نفسه – ص ٦٢

[4] – المصدر السابق – ص ٦٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي تقول: حتى الآن فسّر الفلاسفة العالم. ومنذ الآن يتعين عليهم أن يغيروه"[1].

بعد كل هذا تلح على دويتشر عقدته اليهودية، وهي أشبه بداء "الجرب" الذي يدفع المصاب به إلى أن يحك جلده بين وقت وآخر، فإذا هو ينعى على أولئك المفكرين "اليهود غير المؤمنين" كما يصفهم تفاؤلهم الذي منعهم من تخيل ما تخبئه الأيام ليهود أوروبا، يقول دويتشر:

"كانوا متفائلين في جوهرهم. ولقد بلغ تفاؤلهم ذرى ليس من السهل علينا أن نرتقيها في الوقت الحاضر. فلم يكن يخطر لهم أن أوروبا "المتمدنة" يمكن أن تنحط في القرن العشرين إلى هاوية من البربرية عميقة إلى حد يجعل كلمة التضامن الإنساني ترن في الآذان اليهودية كشتيمة[2] "هايني وحده استطاع بحدس الشاعر – يقصد دويتشر الذهنية التنبئية اليهودية – أن يتنبأ بالكارثة " عندما حذر أوروبا من عودة قوة الآلهة الجرمانيين القدامى التي كانت تنبعث " وكانوا يضحكون مما يقول " عندما كان يصرّح مستنكراً أن مصير اليهودي المعاصر فوق كل تعبير، وفوق كل فهم[3] ".

---

[1] – المصدر السابق – ص ٦٣

[2] – المصدر نفسه – ص ٦٤

[3] – المصدر نفسه – ص٦٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بلى.. إن دوتيشر الذي يزعم أنه ماركسي، لا يستطيع أن يميز بين السلطة الطبقية الحاكمة في ألمانيا النازية – وليست أوروبا كلها كما يزعم – وبين الجماهير الكادحة المذلة المهانة، المضطهدة، المسحوقة، والتي سحقتها النازية أيضاً، حين يتعلق الأمر باليهود.

وينتقل دويتشر إلى دفاع مباشر عن الصهيونية، مميطاً اللثام عن وجهه، يهودياً وصهيونياً في الآن ذاته. ففي حديثه عن الصهيونية بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ في روسيا يعترف بأن " الحركة الصهيونية كانت تدير ظهرها للثورة، أو تحاول في أحسن الأحوال أن تتجاهل الثورة . غير أنه لم يكن في هذا موضوعياً، ما يدين الصهيونية كمذهب خطر وضار. وكان القول بأن الصهيونية تهدد الثورة الروسية بالخطر، قولاً خاطئاً ومضحكاً، بالنظر إلى ما تتصف به جميع التنظيمات اليهودية في روسيا من عجز كامل[١] ".

لقد كتب دويتشر هذا الكلام قبل أكثر من ثلث قرن، من انهيار الدولة السوفييتيّة، فهل في الكرة الأرضية كلها، من يجادل اليوم في الدور الذي لعبته المعاول اليهودية والصهيونية في تحطيم وتدمير هذه الدولة؟!

ولم يهاجم دويتشر الستالينية لممارساتها القمعية في الاتحاد السوفييتي، بل لأنها لم تكن متعاطفة مع اليهود.. فهو يقول "وفي هذه الفترة بدأت في الاتحاد السوفييتي، في فترة إبعاد تروتسكي – اليهودي الآخر –

---

[١] – من هو اليهودي – ص ١١٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن الحزب والقيادة، تلميحات عن "الأخلاط مقطوعي الجذور. وكانت الازدواجية تتجلى في أن أحداً لم يلفظ أبداً كلمة "يهودي" ولكن الناس كانوا يفهمون تماماً، من هم هؤلاء: الأخلاط مقطوعو الجذور[1]".

.. مع ذلك فإنه اضطر إلى الاعتراف بالدور التخريبي الذي لعبه اليهود في الدولة الجديدة "ففي المدينة كانوا يُطارَدون على أنهم "أخلاط بلا جذور" يعارضون تقدم الاشتراكية في روسيا. وفي الريف كانوا محل بغضاء الفلاحين الذين يرون في اليهودي البلشفي كاغانوفيتش "المسؤول الرئيسي" الذي أدار حملة فرض المزارع الجماعية بالقوة[2].

.. ويستطرد إلى الحديث عن كراهية الروس اليهود العاملين في التجارة قائلاً : " فاليهود من صاحب الدكان الصغير، إلى المحتكر والمتعيّش، كانوا يطفون دائماً على أمواج التقلبات الكبرى. وكل منهم يجتذب إلى نفسه النفور العميق من جانب الأهلين الروس [3]".

ثم ما يلبث دويتشر أن يفسر أسباب نفور الأهلين الروس من اليهود، في الوقت الذي يريد فيه تبرير سلوكهم التجاري، وما فيه من جشع وتكالب على المال. ذلك أن اليهود الروس بادروا إلى الإسراع في الابتعاد عن المدن

---

[1] +٢ المصدر نفسه – ص ١١٥

[3] – المصدر نفسه – ص١١٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروسية متجهين نحو الشرق خلال الحرب العالمية الثانية. وهناك لم يمنعهم شيء من العودة إلى "أصولهم" في التجارة والاحتكار والابتزاز. يقول دويتشر:

"والمليونان والنصف من اليهود الذين رحلوا إلى كازاكستان وأوزبكستان وجمهوريات آسيا الوسطى وهم مفعمون رعباً، ويائسون، ارتموا في وسط لا يعرفونه. وبذلك وجدوا أنفسهم يُقتلعون من جذورهم مرة جديدة. وحين أجبروا – هم أجبروا أنفسهم – على أن يعيشوا في منطقة تسود فيها مجاعة وفقر لا يصدَّقان، عادوا فأظهروا كفاءتهم في السوق السوداء، وتحولوا إلى متعيشة"[1].

ويمعن دويتشر في تبرير سلوك هؤلاء اليهود اللا أخلاقي، في أثناء الأزمات الطاحنة التي عاشها الاتحاد السوفييتي، إبان الحرب العالمية الثانية، واستغلال احتيازهم القدرات المالية، للتلاعب بالمواد الغذائية الأساسية واحتكارها وبيعها بأسعار فاحشة، فيرى "أن من الظلم أن نلوم هؤلاء اللاجئين الذين لم يكونوا مزارعين ولا فلاحين، وبالتالي، فهم عاجزون عن أن ينتزعوا من الأرض أي شيء" ويضيف قائلاً: **"كانت عقلية التجار التي بقيت لديهم ولم تذهب بعد، قد مكنتهم من أن يخفوا " قليلاً "من الشاي**

[1] – المصدر السابق – ص ١١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسكر وبضعة أكياس من البطاطا والقمح ليعودوا فيبيعونها من ثم بأغلى الأسعار، بينما تموت من حولهم جموع الشغيلة من الروس جوعاً"[1].

.. إن اسحق دويتشر لم يخجل وهو يكتب في وصف ما احتكره اليهود: "قليلاً" ذاك انه يعلم قبل سواه أن المليونين ونصف المليون من اليهود في جمهوريات آسيا الوسطى، – ومازالت بقاياهم حتى الآن هناك وقد رفعوا رؤوسهم بعد انهيار الاتحاد السوفييتي – لا يمكن أن يحتكروا.. إلا.. كثيراً.. كثيراً.. جداً.

وكأني به، بعد أن أخذته العزة بالإثم – يرتد – وقد لاحظ تناقضه الكبير مع نفسه، فيعترف بأن ذلك أدى " إلى إعطاء دفعة جديدة لموجة اللاسامية ".

.. إن الأستاذ قصاب حسن، مترجم هذا الكتاب، لم يملك في نهاية هذا الفصل سوى أن يعلق مدهوشاً مستغرباً، **من عقلية هؤلاء اليهود "التي استمرت من عام ١٩١٧ حتى ١٩٤٢ دون أن يدخل عليها النظام الاشتراكي أي تعديل ".**

في أحد فصول الكتاب يتساءل دويتشر "ما هو الإسرائيلي، وما هو اليهودي[2]".

---

[1] – المصدر نفسه – ص ١١٨

[2] – الأصح: من هو الإسرائيلي، ومن هو اليهودي. لأن حرف الاستفهام "ما" هو لغير العاقل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونفاجأ – في الواقع: لا نفاجأ – بأنه يطرح وجهة النظر الصهيونية ذاتها في تبرير احتلال اليهود الصهاينة فلسطين واستيطانها . إنه يتحدث عن يهود الشتات "الدياسبورا" الذين هاجروا إلى فلسطين، وعن أولئك اليهود الذين خُلقوا فيها "الصابرا" فيجعلهما يلتقيان في نقطة واحدة: أنهم باتوا جميعاً إسرائيليين. وها هو ذا يتكلم في لهجة تذكرنا بما سبق أن تحدث به بن غوريون حين قال: إن الصهيوني هو اليهودي الذي يريد العودة إلى جبل صهيون. هو اليهودي الذي يحس انه إذا كان يعيش في أي بلد آخر غير إسرائيل فهو يعيش في منفى، وأنه آن الأوان لانتهاء عصر النفي والتشرد، ولابد من العودة إلى أرض إسرائيل. ثم ينتهي بن غوريون إلى القول: " إن ما ربط بين اليهود، وجعل تلك الصفات الأخرى ، كالدين والعنصر واللغة – صفات قابلة لأن تجمعهم من جديد، هو صفة أخرى أساسية، هي: رؤيا العودة. الإيمان بأن الخلاص هو في العودة إلى جبل صهيون، حيث أقام داود معبده الأول، أي إلى أرض إسرائيل[1].

ويقول دويتشر:" إن كثيرين من الصهيونيين يؤمنون بالكيبوتز هاغالوت، أي بعودة جميع اليهود العائشين في بلاد المهجر، فهم يرون أن كل يهودي يقيم خارج إسرائيل، هو بالضرورة شخص منفي . إن عليه التزامات حيال الدولة الجديدة، لأن واجبه الأسمى هو أن يصبح مواطناً

[1] – اسرائيليات وما بعد العدوان – أحمد بهاء الدين – دار الهلال – القاهرة– الطبعة الرابعة ١٩٦٩ – ص٦٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إسرائيلياً. وبالمقابل فإن الشباب الإسرائيليين، ولا سيما الـ "صابرا" الذين ولدوا ونشؤوا في البلاد، لا يحسّون بأنهم ينتمون إلى "اليهودية العالمية" وبالتالي فإنهم لا يرون أن "اليهودية العالمية" تنتمي إلى إسرائيل.بل يذهب بعضهم إلى حد التصريح بأنهم إسرائيليون وليسوا يهوداً[1]".

إذاً فإنه يشير صراحة دون مواربة إلى قومية جديدة ناشئة هي القومية الإسرائيلية، وهو يعلم قبل سواه – مادام قد عدَّ نفسه ماركسياً – أن للقومية نشأة تاريخية وشروطاً موضوعية لا تنطبق على هذه القومية التي يتكلم عنها.

وها هو ذا يعرض الفكرة نفسها، بعد سطور معدودة، رافعاً صوته أعلى وأقوى قائلاً: "في إسرائيل شَكَّل أقدم شعب في العالم أحدث دولة بين الدول القومية. وهو يرمي بكل حرارة عواطفه إلى استدراك الزمن الذي فات. وفي إسرائيل كان اليهود تقريباً يفكرون بأنهم من أجل الوصول إلى سعادتهم الفردية والجماعية المثلى، عليهم أن يبنوا درعاً متينة من الحماية الوطنية، مما يفرض عليهم واجب الخلاص من الهجرة والتشتت، ومن ذكرياتها وعاداتها وأذواقها، ومن روائح المنفى، آلاف سنين المنفى"[2].

---

[1] – من هو اليهودي – ص١٢٨

[2] – المرجع السابق – ص ١٣١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان دويتشر يعرب عن عميق إعجابه " بـــهؤلاء المزارعيـــن الذيـــن يقاتلون الصحراء ويجبرونها على أن تنتج كروماً وأشجار زيتون، وهـؤلاء الجنود الذين يراقبون في برود العرب الموجودين على الطرف الآخر مـــن الحدود " عندما التفت ليقول باسمهم: "ويسألون زائرهم: "أفلست تشعر بـــأن جذورنا نحن اليهود موجودة هنا؟"[1]

ويستطرد قائلاً: الجذور والناس الذين اقتلعوا من جذورهم، كلمـــات لا تفتأ تتكرر في المناقشات. فالناجي من معسكرات الاعتقال النازية، والذي تألَّم من اللاسامية البولونية القديمة، أو تعرض لعسف الحرس الحديدي الروماني، يحس أخيراً أنه في بيته وفي مأمن، ويعبر عن رضاه، وعن ارتياحه وعـــن فخاره[2].

مهما يكن من أمر، فإن ماركسية اسحق دويتشر التي اتضح وتأكد أنها ليست سوى قشرة رقيقة، يمكن أن تزال بطرف ظفر طفل، ذكرتنـــي بتلـــك السيدة التي التقيت بها عام ١٩٧٢، في مهرجان "كارلوفي فاري" الســـينمائي في تشيكوسلوفياكيا. مازلت أذكر اسمها: "أوليفافا" وكانت مسؤولة عن ســينما العالم الثالث في المهرجان. استقبلتني في حفاوة وحرارة، والتقيت بها عـــدة مرات في مناسبات مختلفة ، فتجاذبنا أطراف الحديث فـــي شـــؤون فكريـــة

---

[1] – المرجع نفسه – ص ١٢٩

[2] – المرجع نفسه – ص ١٢٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسياسية وفنية مختلفة. كانت وجهات نظرها في الأمور ، توحي بأنها تقدمية يسارية.. بل ماركسية. إلى أن أخذنا الحوار مأخذاً مختلفاً، فقد رسونا على شواطئ فلسطين والاحتلال الصهيوني وتشريد شعب بكامله لإحلال مهاجرين يهود، أتوا من مختلف أطراف الأرض، محل أهل البلاد الأصليين.

عندئذ أحسست أنني أمام امرأة أخرى غير التي عرفتها. امرأة اندفعت بكل عواطفها لتبرير الاحتلال والاستيطان و المذابح التي أقامها الصهاينة في فلسطين منذ عام ١٩٤٧. هنا عرفت جيداً من هي محدثتي، فقد خرجت اليهودية الصهيونية من جلدها، مثلما خرج اليهودي الصهيوني من إهاب.. دويتشر، فسقطت عنه مزاعمه الماركسية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القسم الثاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الرابـــــع

من .. تاريخ اليهود

أ – فكرة شعب الله المختار.

ب – اليهود من السبي الأول إلى عصر الإسلام.

ج – من أخلاق اليهود.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكـــرة شعـــب اللـــه المختـــار

من منظور يقترب كثيراً من "الفكرة الخالدة أبداً"[1] يتحدث بن غوريون عن شعب الله المختار في كتابه "الفكرة الصهيونية" فإن أول أمجاد اليـــهود "فكرة الشعب المختار ذي الرسالة العظيمة، والوضع الفذ بين الأمم " وهـــذا ما عبر عنه بمزيد من الوضوح والصراحة التي تبلغ حدود القحة "آشـــربن غنزبرغ"[2] وهو أحد واضعي الإيديولوجية الصهيونية، حين كتـــب باســـمه المستعار "آحاد ها عام" قائلاً " إنني أؤمن بتفوقنا الأخلاقي والعقلي، وأؤمن بأهليتنا لأن نكون نموذجاً لإنقاذ وخلاص الجنس البشري"[3].

ويقدم مؤسس رابطة الدفاع اليهودية، ألفاظاً تكاد تكون هي نفسها، وها هو ذا مئير كاهانا، الحاخام الشهير والإرهابي المعروف – القتيل– يقول "إن الشعب اليهودي، هو الشعب المختار، الأخلاقي الذي يجب ان يسود الشـــعوب

---

[1] – ورد الحديث عن "الفكرة الخالدة أبداً" في الفصول الخاصة بدوستويفسكي

[2] – أحد واضعي الأيديولوجية الصهيونية (١٨٦٥– ١٩٢٧)

[3] – أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين – تأليف: الدكتور جورجي كنعان – دار الطليعة – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٧٨ – ص ٤٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كافة، إننا لسنا مدينين بوجودنا لأحد، بل.. إن العالم مدين لنا بالكثير الذي لا يستطيع أن يفينا إياه[1]".

من أين جاءت فكرة "شعب الله المختار" وكيف توغلت في أعماق نفس اليهودي، وأمست جزءاً لا يتجزأ من عقيدته الدينية والدنيوية؟!

قبل تفصيل هذا الحديث، يهمنا أن نتوقف قليلاً لنشير مرة أخرى إلى أن ما يسمى "العهد القديم" وهو نفسه كتاب "التوراة" المتداول بين أيدي الناس، هو كتاب آخر غير الذي تنزل على سيدنا موسى عليه السلام.

وهناك إجماع بين المؤرخين المعاصرين على أن أحبار اليهود هم الذين كتبوا الأسفار الأولى من "التوراة" المزعوم في القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً.

وقد كتبوه كما يروق لهم، وبالطريقة التي تعيننا على كشف نفوسهم وسبر أعماقهم، خلال المراحل التاريخية التي سبقت أو تلت.

ونحن إذ نورد أخبار النبي موسى عليه السلام والرسل الذين تعرض لهم "التوراة" المنحولة، فهذا لا يعني أننا نتبناها أو نؤمن أنها أفعال سيدنا موسى كليم الله، بل نحن نوردها، لتساعدنا في هذا الحديث عن نفسية اليهودي التي تسمح له حتى بالعبث بسيرة الأنبياء والمرسلين. ويظل هذا

---

[1] – المصدر السابق – ص ٤٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب، غير الإلهي ، مكتوباً من وجهة نظر اليهود إلـــى الحيـــاة والواقـــع والبشر.

إن معظم الباحثين في المسألتين اليهودية والصهيونية، يردون الفكـــرة إلى كتاب العهد القديم، وخاصة أسفاره الخمسة الأولى "**التكوين، الخـــروج، اللاّويين، العدد، التثنية**" وربما كانت اليهودية هي الديانة الوحيدة التي تحدثت عن "إله" خاص، بجماعة مخصوصة فان "أهيه" كما يدعى أوّلاً في الإصحاح الثالث من سفر الخروج، و "يهوه" كما يسمى ثانياً في الموضع ذاته، هو إلـــه بني إسرائيل. وإسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم، وقد ورد ذكره في الإصحاح نفسه كما يلي:

"**وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه إله آبائكم، إله ابراهيم، وإله اسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم**"

ثم تتكرر هذه الصيغة الخاصة في أكثر من موضع مـــن الإصحـــاح الثالث. إضافة إلى صيغ أخرى "فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الـــذي في مصر". "فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل مـــن مصر".

"**ترى كيف فهم اليهودي، ابن "شعب الله المختـــار" ديانتـــه، وفســـر وصايا موسى العشر**" ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقول الدكتور جورجي كنعان في كتابه "أمجاد إسرائيل" في معرض كلامه عن التطبيقات العملية للوصايا العشر إن موسى أو يهوه الموسوي أو الكاتب الذي دوّن شريعة موسى، لم يكن يقصد بقوله "لا تقتل" النهي عن ارتكاب جريمة القتل بحق الناس، وإنما يهدف إلى نهي اليهودي.. عن قتل اليهودي فقط. أما أفراد بقية الشعوب، فهو يأمره بقتلهم وذبحهم، واستعباد من تبقى منهم إلى نهاية الدهر.[1]

ويمكن أن يقال الكلام نفسه حول الوصية الثانية "لا تسرق" والثالثة "لا تزن" فاليهودي، منهيٌّ عن سرقة اليهودي فحسب. أما مسألة الزنى.. فإن لها شأناً آخر.

وفي جميع الأحوال، فإن في التوراة تداخلاً مدهشاً بين مسألتي القتل والزنى. ولعلّنا قادرون على استنتاج الكثير، من العناصر التي تشكل نفسية اليهودي، عبر حقب التاريخ المختلفة، من قصتين اثنتين، تحفل أسفار التوراة الكثيرة بأمثالهما. يقدم الأولى منهما سفر العدد، ويحدثنا بالثانية سفر يشوع.

---

[1] – أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين – ص ٦٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصة الأولى:

كان الجزء الجنوبي الشرقي، المطل على خليج العقبة، من شبه جزيرة سيناء يدعى "بلاد مديان" وقد لجأ إلى هناك موسى عليه السلام في مستهل حياته هارباً من مصر بعد أن قتل أحد المصريين وطمره في الرمل. والقصة واردة في القرآن الكريم[1]، وهناك تزوج من "صفورة" بنت "رعوئيل"[2] ثم حدث أن رجلاً من بني إسرائيل جاء وقدم إلى إخوته امرأة "مديانية" أمام عيني موسى وأعين كل جماعة بني إسرائيل، وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع. فلما رأى ذلك "فينحاس" الكاهن أخذ رمحاً بيده، ودخل وراء الرجل الإسرائيلي، إلى القبة وطعن كليهما: الرجل والمرأة[3].

إذاً فقد عوقب الزانيان، ويجب أن تتوقف الحادثة عند هذا الحد. ولكن ما حدث بعد ذلك.. كان مختلفاً.

حين جرت هذه الواقعة، كان موسى وقومه، قد بلغوا في ترحالهم "موآب" على البحر الميت. وكان موطن المرأة في "مديان" بعيداً عشرات

---

[1] – سورة القصص (٢٨/١٥)

[2] – سفر الخروج – الإصحاح الثاني

[3] – سفر العدد – الإصحاح ٢٥/٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكيلو مترات، ولكن التعليمات كانت واضحة أمام موسى "انتقم نقمة من المديانيين"[1].

وهكذا جرد موسى اثني عشر ألف مقاتل . اختار ألفاً من كل سبط من الأسباط الاثني عشر "فتجندوا على مديان كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم"[2]

" وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم، وكل أملاكهم. واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار . وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم، وأتوا إلى موسى والعازر الكاهن، وإلى جماعة بني إسرائيل، بالسبي والنهب والغنيمة، إلى المحلة إلى عربات "موآب" التي على أردن أريحا"[3].

غير أن هذا كله لم يعجب موسى وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حية[4] ثم إنه بأسلوب هذا الزمان استطرد قائلاً: فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت بمضاجعة ذكر اقتلوها[5].

---

[1] – سفر العدد ٣١/١

[2] سفر العدد ٣١/٧،٨

[3] – سفر العدد ٣١/٩ حتى ١٣

[4] – سفر العدد ٣١/١٥

[5] – سفر العدد ٣١/١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعيد الدكتور كنعان إلى الذاكرة حكاية لجوء موسى إلى مديان، وإقامته في بيت "رعوئيل" الذي زوجه من ابنته، إلى حين عودته إلى مصر، ويقول: "وكانت مديان مدرسة فكرية لموسى، وربما أخذ منها فكرة الإيمان بإله واحد "إيل" واسم "رعوئيل" حمي موسى يشير إلى صفته الكهنوتية[1]"ويحدثنا مؤلف "أمجاد إسرائيل" أن رعوئيل رحب بموسى عندما قاد قومه في عملية الخروج المشهورة من مصر، وأسدى إليه نصائحه الثمينة وألقى عليه درساً في أصول القضاء شهد موسى نفسه بعظمته[2].

مع ذلك فإن موسى، قتل رعوئيل في من قتل من أهل مديان. لماذا؟ لأن امرأة مديانية، زنت مع رجل من بني إسرائيل. ولكن ماذا.. في شأن مديان التي آوته وأمنته.. وأبعدت عنه الشعور بالغربة والوحدة. أهذا جزاؤها؟.

القصة الثانية:

كان يشوع بن نون خليفة موسى، بطل القصة الثانية، وفيما كان يدبر خطة لغزو أريحا، عبر نهر الأردن، أرسل إليها جاسوسين " فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب. واضطجعا هناك. فقيل لملك أريحا هوذا، قد

---

[1] - أمجاد إسرائيل ص ٧٠

[2] - سفر يشوع ١/٢ حتى ٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دخل إلى هنا الليلة رجلان من بني إسرائيل لكي يتجسسا الأرض. فأرسل ملك أريحا إلى راحاب يقول: أخرجي الرجلين اللذين أتيا إليك ودخلا بيتك، لأنهما قد أتيا لكي يتجسسا الأرض كلها، فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما. وقالت نعم جاء إلي رجلان ولم أعلم من أين هما. وكان نحو انغلاق الباب في الظلام أنه خرج الرجلان. لست أعلم أين ذهب الرجلان " سفر يشوع الإصحاح الثاني ".

" ثم رجع الرجلان ونزلا عن الجبل، وعبرا وأتيا إلى يشوع بن نون وقصا عليه كل ما أصابهما[1]".

وفي موعد الغزو واقتحام أريحا " حرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف[2] وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض : ادخلا بيت المرأة الزانية، وأخرجا من هناك المرأة، وكل مالها، كما حلفتما لها. فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها، وكل مالها، وأخرجا كل عشائرها ، وتركاهم خارج محلة إسرائيل، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها"[3]

---

[1] – سفر يشوع ٢/٢٣

[2] – المقصود بالتحريم: القتل

[3] – سفر يشوع ٦/٢١ حتى ٢٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

.. نحن في القصة الأولى والثانية، إزاء زانيتين من طينة واحدة يجمعهما قاسم مشترك واحد، هو أنهما تعيشان من بيع جسدهما، فإزاء وصية "لا تزن" كان ينبغي أن ينزل بالاثنتين عقاب واحد، فلماذا عوقب قوم الأولى جميعاً " أهل مديان" بجريرة امرأة واحدة، على الرغم من كل ما قدمته "مديان" وسيدها "رعوئيل" إلى موسى؟ في حين أن العقاب نزل بأهل أريحا جميعاً، واستثنى فقط الزانية "راحاب" وأهلها؟.

هل يمكن أن يكون هناك حكمان أخلاقيان ودينيان، يختلف كل منهما عن الآخر، إزاء الحادثة الواحدة؟.

تبدو واقعة الزنى ، حادثاً جانبياً للغاية، مقابل حوادث .. القتل الجماعية، وهي جميعاً، في مختلف الحالات التي وردت في التوراة، حوادث مجانية لا تستحق كل الدماء التي أريقت والنفوس التي أزهقت.

إن موسى نفسه – كما تزعم التوراة المنحولة – هزئ بوصيّة " لا تقتل" حين جرد اثني عشر ألف مقاتل من أجل إبادة أهل مديان كافة ، لمجرد أن امرأة واحدة منهم ارتكبت فعل الزنى. كما أن يشوع، خليفة موسى، هزئ هو الآخر بوصيّة "لا تزن" عندما استثنى الزانية "راحاب" وأسرتها من مدينة أريحا التي أبادها، عن بكرة أبيها.

فعل القتل والإبادة والتدمير، هو ألصق إذاً بنفس اليهودي وكذلك فعل الزنى.. وما أكثر الشواهد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن "رأوبين" بن يعقوب – وهو إسرائيل نفسه – " ذهب واضطجع مع "بلهة" زوجة أبيه"[1] .

وإن يهوذا بن يعقوب الآخر قد زنى بكنته. وكان أبناء "عالي" الكاهن يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع[2].

كما أن "أمنون" بن داود اضطجع مع أخته "ثامار"[3] في حين أن ابنه الآخر "ابشالوم" نصب الخيمة على السطح ودخل إلى زوجات أبيه أمام جميع إسرائيل.[4] ويجدر بالذكر أن خيمة الاجتماع هي بيت الإله: يهوه.

القتل والزنى، عنصران جوهريان في نفسية اليهودي إذاً.. منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة.. كما تؤكد ذلك أسفار التوراة وأقاصيصه المختلفة.

ويمكن القول أن جذور السرقة والاحتيال والتلاعب، تمتد إلى الزمن نفسه، والفترة التي تحدثوا فيها عن وصية "لا تسرق".

---

[1] – سفر التكوين ٣٥/٢٢

[2] – سفر صموئيل الأول

[3] – سفر صموئيل الثاني – الإصحاح ١٣

[4] –سفر صموئيل الثاني – الإصحاح ١٦/٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهود من السبي الأول .. إلى عصر الإسلام

كان ذلك قبل أربعة عشر قرناً، مع ظهور الإسلام والدعوة الإسلامية. وقد كان لابد أن يكون احتكاك بين الرسول العربي الكريم، ومعه المسلمون، وبين اليهود الذين تمركزوا على نحو رئيسي في المدينة المنورة "يثرب". وكان هؤلاء اليهود قد لجؤوا إلى هنا في القرن الأول الميلادي ، إثر الحرب التي شنها الرومان ضدهم، في فلسطين، وتدمير هيكل بيت المقدس. وقد سكنت يثرب عدة قبائل يهودية أشهرها: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع[1].

إذاً فإنهم أتوا إلى أرض الحجاز، هاربين لاجئين، ليقيموا في بلاد ليست ديارهم، وليعيشوا بين أناس ليسوا منهم.. فما كادوا يستقرون، حتى بادروا إلى فعل ما يفعله اليهودي، في كل زمان ومكان: التقوقع والانغلاق على الذات، والابتعاد عن الآخرين وراء المِنَع والحصون. وهكذا أقاموا في حصون في المدينة وخيبر وسواهما. وحين هاجر الرسول الكريم إلى المدينة

[1] - اليهود في القرآن: تأليف: عفيف عبد الفتاح طبارة – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة التاسعة ١٩٨٢ ص ١٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنورة، التقى بهم وزارهم وطمأنهم. وكما يقول ابن هشام فإنه منع جميع المسلمين "من التجاوز والتطاول على من في يثرب من يهود[1]". وجعل لهم نصيباً من المغنم إذا هم قاتلوا مع المسلمين.

يقول عفيف عبد الفتاح طبارة : رأت اليهود أن الإسلام دين اعترف بأنبيائهم، وأنه دين توحيد، وأنه في بعض أحكامه قريب من أحكام ديانتهم، وأنه يناهض الأوثان، وقد تسامح معهم فأباح للمسلمين طعامهم وأجاز التزوج من بناتهم، كما تصرح بذلك الآية القرآنية:

"اليوم أحل لكم الطيبات، وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم، وطعامكم حل لهم، والمُحْصَنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم" . سورة المائدة – ٥ .

.. بل إن الرسول الكريم بذل لليهود من الود، ما هو فوق ذلك، فقد اتخذ بيت المقدس قبلة للصلاة، عقب الهجرة إلى المدينة، تأليفاً لقلوب اليهود. وفي الوقت نفسه، فإنه كما يروي البخاري في صحيحه أمر المسلمين أن يصوموا عاشوراء. وكان ذلك بعد هجرته إلى المدينة، وقد رأى اليهود يصومون عاشوراء، فسألهم عن ذلك فقالوا: هذا يوم نجَّى الله بني إسرائيل

[1] – المرجع السابق – ص ١٦ نقلاً عن ابن هشام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من عدوهم فصامه موسى، فقال الرسول: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. وكانت اليهود تعده عيداً .. وما تزال[1].

ذلك كان عهد الحسنى والود، بذله الرسول والمسلمون لليهود، منذ البداية، فماذا كان جزاء ذلك؟ كيف رد اليهود.. على المودة الطيبة والجوار الحسن؟

كان لابد أن تنشأ بين اليهود وأحبارهم ، وبين الرسول الكريم مناقشات دينية، نتيجة دعوتهم للدخول في الإسلام. وسوف نصرف النظر عن ولوج هذا الباب، على الرغم من أنه يظهر جانباً لصيقاً بنفسية اليهودي، عبر عصور التاريخ كلها، أعني المماحكة الذرائعية والغطرسة البغيضة. ولئن كان عدد قليل من اليهود، قد دخل الإسلام صادقاً، فإن أكثر اليهود رفضوا الدخول في الدين الجديد، وكانت محاجتهم الرسول، ذات طابع تعجيزي واضح، فقد طلبوا إليه، وهم من أهل الكتاب الموحّدين أن يجعلوا الله يكلمهم حتى يسمعوا كلامه: " وقال الذين لا يعلمون، لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم .. " سورة البقرة – ١٨

ربما كان من المفيد هنا، ونحن نتحدث عن نفسية اليهودي، أن نشير إلى أن اليهودية، هي الديانة الوحيدة التي لا تسمح بالتبشير والتوسع وزيادة عدد المؤمنين بها. ولا جدل في أن لذلك علاقة وثقى بما يؤمن اليهود به من

---

[1] – المرجع نفسه – ص ١٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنهم " شعب الله المختار" وأصحاب "أفكاره الخالدة أبداً" بما في ذلك كله من عنصرية وغطرسة وجمود و "دوغماتية".

وإذن، فقد ذهبت هدراً جميع جهود المسلمين من أجل تأليف قلوب اليهود والتحاور معهم. وكانوا على معرفة منذ بداية عهدهم مع المسلمين، بما يريدونه، وما ينوون أن يفعلوه: أن يراوغوا، ليبقوا على حالهم، مع محاولة الحصول على أكبر مقدار ممكن من المغانم والمكاسب. فإذا استطاعوا أن يلحقوا أذى مباشراً بالرسول الكريم وجماعته، لم يوفروا جهداً. وإذا استطاعوا أن يشعلوها حرباً مباشرة ضد المسلمين، بادروا إليها.

.. بعد سبعة عشر شهراً من إقامة الرسول في المدينة، أوحي إليه ان يُحوّل القبلة من القدس إلى مكة.. وعندئذ اغتاظ اليهود، وجاؤوا إلى الرسول يراوغون وكان فيهم "رفاعة بن قيس، وقردم ابن عمرو، وكعب بن الأشرف"[1] وقد عرضوا على الرسول، إن هو رجع إلى القبلة الأولى" أن يتّبعوه ويصدقوه". وكان بديهياً أن يعرض عنهم الرسول، وأنْ تبقى الكعبة في مكة.. قبلة المسلمين.

وتصاعد العداء بينهم وبين المسلمين، حين حل صوم رمضان محل صوم عاشوراء، وأُحِلّ أكل بعض المحرمات عند اليهود مثل لحوم الإبل[2].

---

[1] - المرجع السابق – ص ٢١

[2] - المرجع السابق – ص ٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبلغ غيظ اليهود أقصى درجاته عندما رأوا أهل يثرب، وقد أمْسوا كتلة واحدة من حول الرسول.. فبدؤوا الحرب بأن امتنعوا "عن دفع ما يجب عليهم دفعه من ديون وبيوع وأمانات لمن اعتنق الإسلام ، مدعين أن ما كان لهم من حق إنما كان لهم قبل الإسلام، وأن دخولهم في هذا الدين قد أبطل حقهم فيه ".[1]

ألا يذكرنا هذا على نحو ما بموقف " شايلوك" من " أنطونيو" في مسرحية شكسبير الخالدة "تاجر البندقية" حين ألح في الحصول على رطل من لحمه، وقد تأخر في سداد دينه إلى هذا اليهودي؟

إن التشدد في الحصول على الحق، يشبه التشدد في إنكار الحق والامتناع عن أدائه. إنهما ينطلقان من النقطة ذاتها، في سويداء النفس، وهذا هو اليهودي بالذات: إما كل شيء تاماً كاملاً ناجزاً، وإما .. لا شيء على الإطلاق. إما السيادة والاستقواء إلى درجة اغتصاب حقوق الآخرين، وقتل الناس، وتدمير البلاد والمدن: تدمير "أريحا، شكيم، مديان" ... وإما الوقوع في براثن الذل والسبي، والانتهاء بالموت والطرد. اليهودي لا يعرف توسطاً: فإما أبيض وإما أسود.

لقد نزلوا بأرض كنعان، فماذا فعلوا بعد؟ وهل كان من حدود لطغيانهم، وقتلهم الأبرياء وإيذائهم الناس؟ أليس هذا هو أحد الأسرار الكبرى،

---

[1] - اليهود في القرآن – ص ٢٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في مهاجمة "نبوخذ نصر" لهم في "أورشليم" أول مرة عام ٥٨٧ ق.م وهذا هو ما عرف تاريخياً باسم " السبي الأول" كما أنهم اضطروه لأن يعود فيشن ضدهم حرباً كاسحةً ثانية بعد ستة أشهر عام ٥٨٦ ق.م وهو ما اشتهر بالسبي الثاني الكبير.. ويومذاك سيقوا ألوفاً.. أسرى وسبايا، نحو بابل.. وعندما قدر لفلولهم أن يتجمعوا من جديد، في القرن الأول للميلاد، وما قبل – وكان الإمبراطور الفارسي "أحشويرش" قد بدأ فعاونهم على العودة بتحريض من زوجته الثانية، وهي اليهودية استير.. إلى أرض كنعان– عادوا إلى إثارة الفتن والقلاقل.. حتى ضربهم القائد الروماني تيتوس سنة ٧٠ م.

وبعد سنوات قليلة، عاد القائد الروماني " ادريانوس" فخاض حرباً ضدهم وكان يقودهم ابن الكوكب " ويدعى بالعبرية: باركوخبا " لم تنته إلا بتدمير الهيكل نهائياً، وإصدار تشريعات رومانية تمنع اليهود من سكنى القدس "أورشليم" وتبدل اسمها إلى "ايليا كابيتولينا" .. وظل هذا هو اسمها حتى فتحها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إذاً فقد بدأ يهود المدينة حربهم المضادة المعاكسة على المسلمين، بعد أن راعهم رؤية المسلمين يداً واحدة. لقد بدؤوها بواحد من أقوى الأسلحة التي احتازها اليهودي في التاريخ: المال. وفي الآن ذاته أداروا رحاها، في ميدان هم دهاقنته وسادته: الفتنة. ولا بأس في إيراد بعض الأمثلة في هذا المجال:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يروي ابن هشام أن يهودياً اسمه "شاس بن قيس" مر على نفر من أصحاب الرسول، من الأوس والخزرج، في مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم واجتماعهم، بعد الذي كان بينهم من عداوة في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملأ بني الأوس والخزرج في هذه البلاد. لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع مَلَؤُهم بها من قرار.

ثم أمر هذا الدهقان اليهودي شاباً من قومه قائلاً: اجلس معهم، ثم اذكر يوم "بعاث"[1] وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من أشعار.

استطاع الشاب اليهودي أن يوقظ الفتنة فتكلم القوم عندئذ وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين: الأوس والخزرج، على الركب فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه، إن شئتم رددناها الآن جذعة[2] فغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا موعدكم الظاهرة[3]. ثم نودي: السلاح .. السلاح.

---

[1] – بُعَاث: يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. وقتل من الفريقين عدد كبير.

[2] – جَذَعة: ردّ آخر الأمر إلى أوله. والمقصود: العودة إلى حروب الماضي.

[3] – الظاهرة: مكان ذو حجارة سوداء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبلغ ذلك الرسول الكريم، فخرج إليهم في من معه من أصحابه المهاجرين وصالَحَ الحيَّيْن، فعرف القوم أنها نزعة من شيطان، وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً.[1]

وثمة واقعة مدهشة، توضح الغطرسة في نفسية اليهودي، وتكشف المدى الذي وصلت إليه نزعته المادية، وتؤكد في الآن ذاته، معرفة اليهودي بهويته الحقيقية ورأسماله الأول، كمراب، يشكل المال أهم الأشياء في حياته:

دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً على اليهود "بيت المدراس" وهو البيت الذي يتدارسون فيه كتابهم. فوجد طائفة منهم اجتمعوا إلى رجل يدعى "فنحاص" وهو من علمائهم وأحبارهم. وكان ثمة حبر آخر اسمه "أشيع" وقد توجه أبو بكر نحو فنحاص يدعوه إلى الإسلام فكان هذا جوابه:

– والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير. وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني. ولو كان عنا غنياً ما استَقْرضَنا أموالنا – كما يزعم صاحبكم – ينهاكم عن الربا ويعطيناه. ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا..فغضب أبو بكر، وضرب وجه فنحاص ضرباً

---

[1] – محمد واليهود– تأليف: محمد احمد برانق – محمد يوسف المحجوب – مؤسسة المطبوعات الحديثة – القاهرة – بلا تاريخ – ص ٦٤–٦٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شديداً. وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم، لضربت رأسك يا عدوَّ الله![1]

وكانت هذه الغطرسة تظهر في أشكال أخرى، تحفل بالبذاءة والاستفزاز. من ذلك مثلاً ، هذه الواقعة.

فقد قامت امرأة من العرب إلى سوق بني قنيقاع وكانت معها بضاعة فباعتها، ثم جلست إلى صائغ منهم لتشتري حلياً. فجعل اليهود يرغمونها على أن تكشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت، وهي لا تدري انكشفت سوأتها فضحكوا منها ساخرين، فصاحت مستغيثة، فوثب رجل على الصائغ فقتله، وشد اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.[2]

ويروي الطبري في تاريخه وابن سعد في طبقاته محاولة اغتيال اليهود للرسول الكريم، على الرغم مما كان بينه وبينهم من عهد وميثاق زمن الحادثة. وعلى الرغم من أن الرسول كان يسعى مسعى صلح وخير.

كان بين يهود بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، وكان الرسول قد عقد جواراً للعامريَّين اللذين قتلهما خطأ عمرو بن أمية. ولهذا

---

[1] – المرجع نفسه – ص ٦٨

[2] –المرجع السابق – ص ١٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذهب الرسول إلى بني النضير يستعينهم في دية هذين القتيلين بحكم ما كان بينه وبين اليهود من ميثاق.

تظاهر اليهود بتلبية رغبة الرسول قائلين: نعم يا أبا القاسم. نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه.

ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه– والرسول قاعد إلى جنب جدار من بيوتهم – فهل مـن رجل منكم يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه! فتقدم لهذه الجريمة منهم عمرو بن جحاش بن كعب قائلاً: أنا .. لذلك.

وصعد ليلقي الصخرة على الرسول، وهو في نفر من أصحابه، فيـهم علي وأبو بكر. وفي اللحظة الحاسمة تزحزح الرسول من موضعـه وقفـل راجعاً.. وأمر أصحابه بالتهيؤ لحرب بني النضير.[1]

وكان الرسول عقب وصوله إلى يثرب قد أمن اليهود علـى أموالـهم وأنفسهم وتعاهد معهم كما يذكر ابن هشام في صحائف كتب لهم فيها العـهد بالوفاء لما اشترط لهم ما داموا موفين بالعهد .. وبذل لهم من آيـات الـود والطمأنة مما سبق الحديث إليه في مستهل هذا الكلام.

---

[1] – المرجع نفسه – ص ٨١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع ذلك فهاهم أولاء يحاولون اغتياله أولاً، وهاهي ذي زينب بنت الحارث تعيد المحاولة الخطرة مرة ثانية. إن الغدر والخيانة خاصة جوهرية مبثوثة في نفس اليهودي في كل زمان ومكان:

أهدت زينب بنت الحارث، زوجة سلام بن مشكم إلى الرسول شاةً مسمومة بعد أن سألت المسلمين في دهاء: أي عضو من الشاة أحبُّ إلى الرسول؟ فقيل لها: الذراع. فأكثرت فيه السم، بعد أن سممت سائر الشاة. ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي الرسول تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء قد اخذ منها كما أخذ الرسول فأما بشر فأساغها، وأما الرسول فقد لفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم. فدعا بها فاعترفت.. فقال لها النبي:

- ما حملك على ذلك؟

... تعال انظر هذا الخبث وذلك الثعلب الماكر في جوابها. فقد قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان ملكاً استرحنا منه وإن كان نبياً فسيخبره الله.

وتجاوز عنها الرسول، أما بشر فإنه مات من أكلته التي أكل.[1]

---

[1] - المرجع السابق – ص ١٣٦-١٣٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مـــن أخـــلاق اليـــهود

يقدم الإصحاحان الثالث والثلاثون والرابـــع والثلاثـــون مـــن ســـفر "التكوين" حادثة جرت في نابلس، أيام نزل فيها يعقوب بـــن اســـحق بـــن ابراهيم وزوجاته الأربع، وأبناؤه منهن، وكان اسمها يومذاك "شكيم" "التـــي في أرض كنعان" كما جاء في التوراة.

وقد حدث أن واحداً من أهل المدينة الأصلاء ومن أصحـــاب الأرض التي نزل فيها يعقوب وبنوه، هو شكيم بن حمور الحوي الكنعـــاني أحـــب "دينة" ابنة يعقوب من امرأته "ليئة" واضطجع معها.

ولنقرأ القصة كما يرويها الإصحاح الرابع والثلاثـــون، مـــن ســـفر التكوين:

وتعلقت نفسه بدينة، وأحب الفتاة، ولاطفها. فكلم شكيم حمـــور أبـــاه، قائلاً: خذ لي هذه الصبية زوجة.. فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب، ليتكلـم معه، وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا. وغضب الرجـــال واغتـــاظوا جداً، لأنه صنع قباحة في اسرائيل، بمضاجعة ابنة يعقوب..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتكلم حمور معهم قائلاً: شكيم ابني قد تعلقتْ نفسه بـــابنتكم. اعطـــوه إياها زوجة، وصاهرونا. تعطوننا بناتكم، وتأخذون لكم بناتنا. وتسكنون معنا. **وتكون الأرض قدامكم.** اسكنوا، واتجروا فيها، وتملكوا بها. **ثم قـــال شـــكيم لأبيها واخوتها: دعوني أجد نعمة في أعينكم. فالذي تقولون لـــي أعطـــي. كثِّروا علي جداً مهراً وعطية. فأعطي كما تقولون لي. وأعطونـــي الفتـــاة زوجة.** فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر.. فقالوا لهما: لا نســـتطيع أن نعطي أختنا لرجل أغلف[1].. إن صرتم مثلنا بِخَتْنِكم كلَّ ذكـــر، نعطيكـــم بناتنا، ونأخذ لنا بناتكم، ونصير شعباً واحداً..

فحسن كلامهم في عيني حمور.. ولم يتأخر الغلام أن يفعـــل الأمـــر. لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب.. فأتى حمـــور وشـــكيم ابنـــه إلـــى بـــاب مدينتهما،وكلَّما أهل مدينتهما، قائلين: هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليســـكنوا في الأرض ويتجروا فيها. وهوذا، الأرض واسعة الطرفين أمامهم، نأخذ لنا بناتهم زوجات. ونعطيهم بناتنا.. لنصير شعباً واحداً، بِخَتْنِنا كلَّ ذَكَر كما هم مختونون..

---

[1] – الأغلف: هو الذكر غير المختون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قتل أهل شكيم قاطبة

فاختتن كل ذكر.. وحدث في اليوم الثالث، إذ كانوا متوجعين ، أنَّ ابني يعقوب: شمعون ولاوي، أخوَيْ دينة، أخذ كل واحد سيفه ، وأتيا على المدينة بأمن، وقتلا كل ذكر. وقتلا حمور وشكيم.. ثم أتى بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة.. غنمهم وبقرهم وحميرهم، وكل ما في المدينة، وما في الحقل أخذوه. وسبوا ونهبوا كل ثروتهم، وكل أطفالهم ونسائهم. وكل ما في البيوت. فقال يعقوب لشمعون ولاوي: كدَّرتُماني بتكريهكما إيّاي عند سكان الأرض، الكنعانيين والفرزيين. وأنا نفر قليل. فيجتمعون علي ويضربونني. فأبيد أنا وبيتي..

إذاً فإن جذور الأيديولوجية الصهيونية، ترتد بعيداً جداً، نحو أعماق القرون التي سبقت ميلاد السيد المسيح. وعبثاً يبحث الإنسان عن مناقبية أخلاقية يستطيع أن يتلمس آثارها أو يحدد لها مبتدأ وخبراً. ما يتضح الآن أنه مفيد هو الصواب والصحيح، فإذا عاد غير مفيد في الغد بات خطأ. والعكس صحيح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يروي لنا الإصحاح السادس من إنجيل مرقس قصة قتل يوحنا المعمدان[1] وخلالها نضع يدنا، على كثير من العناصر اللاأخلاقية في هذه المناقبية المفقودة. لقد حدث أن فيليبس قد توفي، فقرر شقيقه الملك هيرودس أن يتزوج من امرأته "هيروديا " فقال له يوحنا المعمدان: لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك. فحنقت عليه هيروديا وأرادت أن تقتله ولم تقدر، لأن هيرودس كان يهاب يوحنا، عالماً أنه رجل بار وقديس[2].

صالومي تطلب رأس يوحنا

ثم جاء يوم أراد فيه هيرودس أن يحتفل فيه بمولده، فأقام عشاء حضره عظماؤه وقواده، ثم .. دخلت ابنة هيروديا "صالومي" ورقصت، فسُرَّتْ هيرودس والمتكئين معه، فقال الملك للصبية: مهما أردت اطلبي مني أعطك، وأقسم لها أن: " مهما طلبت لأعطينك، حتى نصف مملكتي " فخرجت وقالت لأمها: ماذا أطلب؟ فقالت: رأس يوحنا المعمدان. فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك وطلبت قائلة: أريد أن تعطيني حالاً رأس يوحنا المعمدان على طبق..

---

[1] – النبي يحيى عند المسلمين.

[2] – إنجيل مرقس – الإصحاح السادس – ١٩/٢٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأرسل الملك سيافاً، وأمر أن يؤتى برأسه، فمضى وقطع رأسه في السجن، وأتى برأسه على طبق، وأعطاه للصبية، والصبية أعطته لأمها.[1]

إن هيروديا لم تتردد في قتل يوحنا المعمدان، وهو الذي عمَّد السيد المسيح بيديه في مياه الأردن، لأنه أوضح أنَّ في زواجها من شقيق زوجها، مخالفة لتعاليم الدين – اليهودي – **فهل كان يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أكثر أخلاقية، عندما سمح بإبادة أهل شكيم الذين أرادوا مصاهرته؟ وهل كان ذلك غضباً منه، لأن شكيم الحوي صنع قَباحة في إسرائيل بمضاجعة دينة ابنة يعقوب؟**

متى يكون الزنا.. ولا يكون

نحن هنا، إذاً، أمام مسألة تدخل في باب (الزنا) وقد ورد في وصايا موسى العشر "لا تزن ".

لقد كان زواج هيروديا من شقيق زوجها نوعاً من الزنا، منعت الشريعة اليهودية وقوعه. إلا أن ما حدث بين شكيم بن حمور الحوي وبين دينة ابنة يعقوب، مختلف جداً، فقد ورد في سفر التثنية من التوراة ذاتها ما يلي: " **إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها،**

---

[1] – انجيل مرقس – الإصحاح السادس/ ٢١ حتى ٢٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعطي الرجل لوالد الفتاة التي اضطجع معها خمسين من الفضة، وتكون هي زوجة له "

وهذا ما حدث بالضبط، ولقد جاء حمور وابنه شكيم لخطوبة دينة مع التسهيلات المذكورة، والمهر المغري.. فلماذا غضب يعقوب وبنوه، وليس ثمة أية مخالفة لتعليمات الديانة، ولماذا، حدثت تلك المجزرة الرهيبة، في اليوم الثالث، من اختتان أهل شكيم جميعاً.

إلى درجة الإباحية

يورد الدكتور جورجي كنعان في كتابه " أمجاد إسرائيل" مجموعة من الأخبار والوقائع استقاها من أسفار التوراة ذاته تؤكد أن اليهود لم يصغوا مطلقاً في يوم من الأيام لوصية " لا تزن " ولم يهتموا اهتماماً حقيقياً بتنفيذ هذه الوصية . فإن " رأوبين " بن يعقوب نفسه ذهب واضطجع مع "بلهة" زوجة أبيه.[1] وإن ابنه الآخر يهوذا، الذي طبع أحفاده باسمه "يهود" قد زنى بكنته، كما يروي سفر التكوين. و "يفتاح" كان، كما يذكر سفر القضاة، ابن امرأة زانية، وقد قضى لإسرائيل ست سنوات، والقاضي عند اليهود، بمثابة الملك عند بقية الأمم؟!

---

[1] – كما ورد في مكان آخر من هذا الكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

.. يقف الباحث مذهولاً، أمام هذه المواقف اللامتناهية في انتهازيتها ولا أخلاقيتها.. وبين ذلك الموقف المختلف، القاسي والبربري، إزاء المجزرة التي أقامها أبناء يعقوب، لأهل شكيم، بعد أن نفذوا شرط الزواج في أن يختنوا جميعاً، على أن تزفّ " دينة " بعد ذلك إلى " شكيم " بن حمور. فلماذا غضبوا كل ذلك الغضب، مع أن أية مخالفة لتعاليم الدين اليهودي لم تقع؟!

لماذا اشتعلت نفوس بني يعقوب بكل تلك الغيرة؟ " وأين كانت هذه الغيرة في قصة سارة[1] مع فرعون[2] ثم مع أبي مالك.[3] وقصة رفقة... مع أبي مالك نفسه أيضاً؟ " يقول الدكتور جورجي كنعان: " هناك، كانت المنفعة

---

[1] – "وحدث جوع في الأرض، فانحدر ابرام" ابراهيم" إلى مصر ليتغرَّب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً – المقصود أرض كنعان: فلسطين – وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي – سارة – امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رأى المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك. قولي: إنك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيى نفسي من أجلك" سفر التكوين "الإصحاح الثاني عشر ١٠ حتى ١٣

[2] – حدث ما توقعه ابراهيم "فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إلى ابرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال" وحين علم فرعون أن المرأة زوجة ابراهيم عاتبه: لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت: هي أختي، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هي ذي امرأتك، خذها واذهب" سفر التكوين / الإصحاح الثاني عشر ١٥ حتى ١٩

[3] – تكررت قصة مشابهة بين ابراهيم وسارة وبين أبي مالك حرار الفلسطيني في جنوب سورية/ سفر التكوين – الإصحاح ٢٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منوطة بكبت عوامل المروءة والغيرة. أما هنا، فإن المنفعة منوطة بتحريك هذه العوامل والتذرع بها "[1].

الأخلاق عندهم هي المنفعة

.. لقد أخذت سارة إلى بيت فرعون، وصنع فرعون إلى " أبرام " – إبراهيم – خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال فكان هذا جزاء كبت عوامل المروءة والغيرة.

.. أما أبناء يعقوب في شكيم، بعد قيامهم بالمجزرة، فإنهم نهبوا أهل المدينة، غنمهم، وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة، وما في الحقل أخذوه، وكل أطفالهم ونسائهم.. وكل ما في البيت.. ومن أجل هذه المنفعة تحركت عوامل الغيرة.

.. إذاً، فلا مبدأ أخلاقياً ثابتاً عندهم. الأخلاق هي المنفعة المباشرة وحسب.. وماعدا ذلك، فكل شيء مباح، والزنا نفسه، ليس أمراً واضحاً محدد المعالم، وإنما هو كذلك، حين يصطدم مع المبدأ الرئيسي في الحياة عند اليهودي: المنفعة.

---

[1] – أبجاد إسرائيل – ص ٥٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الخامس

قراءة في بروتوكولات حكماء صهيون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قراءة في بروتوكولات حكماء صهيون

أ – القبالا نقطة بيكار اليهودية العالمية.

ب – القبالا ظاهرها التصوف وباطنها القتل والتدمير.

ج– خرافات من التلمود.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قراءة في بروتوكولات حكماء صهيون
"القبالا" نقطة بيكار اليهودية العالمية

-١-

سمعت باسم " القبالة " أو " القبالا " للمرة الأولى في رسالة جامعية، أعدها في قسم الجغرافيا بجامعة دمشق السيد محمود ساطع، تحت عنوان "اليهود في جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده، واليهود المعاصرون في سورية " وقد أشرف عليها الأستاذ الراحل الدكتور عمر الحكيم سنة ١٩٦٨ – ١٩٦٩ وهو يدعوها " الكابالا " ويشير إليها في معرض حديثه عن مزاولة اليهود للسحر " فالسحر من اختصاص اليهود، وهو يؤدي إلى التسلط على النساء، وبالتالي إلى إفسادهن وسلبهن أموالهن واستباحة أعراضهن".

ثم يستطرد السيد ساطع قائلاً: " وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن مزاولة السحر ترجع إلى تعاليم " الكابالا " السرية في التعاليم العبرية، في